الجاحدة
رواية ل ضياء عسود

رواية

الجاحدة....

ملحمة رومنسية

ضياء عسود

.....

.....

الاهداء .....

.....

لولدّي جوري وجود

كلمة الكاتب

.....

هذه الرواية من محض الفكر ، ومن نسج الخيال تتكلم عن مآساة رومنسية شيقة ، لطفلة يتيمة في الثانية عشرة من عمرها ، تجد نفسها فجأة في أحضان رجل ثلاثيني يكبرها بسنين عديدة ، تتزوجه رغم انها لا تزال تمسك بدميتها الوحيدة ، وتبدأ قصتهما الجنونية في ليلة الزفاف لتأخذك الاحداث التي أرسمها في مخيلتي الى زوايا بعيدة ومظلمة وقصص، شيقة لا تخطر على بال في عالمنا المجنون الذي لا يعرف الرحمة ، فقد تنقلب الضحية احيانا الى جلاد ، وينقلب من رحم ورآف الى ضحية في غمرة الاحداث المتتابعة ، نوار وياسمين اسمين لشخصين في هذه الحياة ، ولكن بين هذين الاسمين ستندلع حروب ومعارك من نوع خفي وستنقلب مفاهيم ومبادئ ، العرفان بالجميل والرقص على آلام الناس ، والنرجسية المطلقة .

سوف لن اطيل في التمهيد لقصتي ولكن ستكشف الاحداث معاني هذه الكلمات التي اخطها الآن ولا تدركون جلّ معانيها

ضياء عسود...

شخصيات الرواية ....

ياسمين _تلك الطفلة اليتيمة والمرهفة

نوار_ الرجل الشهم والعصامي والملتزم

صفاء _ خالة نوار عبثية طيبة القلب
مريم _ خالة ياسمين لئيمة

دكتور امجد _زوج ياسمين خائن
دكتور حامد _زوج ياسمين ضعيف

الممرضة السمينة _حكيمة
الممرضة النحيلة _ مادية

سارة_ الشقراء الغيورة

والد حامد _ متسلط وصاحب القرار الاول والاخير

رضوان _ صديق نوار الوحيد
فوزية _ زوجة رضوان مصابة بالزهايمر.

العرس...

نوار يرتدي بدلته السوداء مع ربطة العنق القرمزية، ويضع اللمسات الاخيرة على زيه قبل التوجه لرؤية عروسته التي انتقتها له خالته صفاء ، هو رجل تقليدي صاحب خلق حميد ، مثالي لأبعد درجات المثالية ، محب لعمله وملتزم به ، لا يحب "الطقطقة" كما كان يدعوها وهي في عرفه تعني الجنون بالحياة الحب والضحك والتلذذ بكل ما هو جميل ، لذا فقد عهد بموضوع زواجه لخالته صفاء والتي انتقت له بنت جميلة وصغيرة تسعده وتؤنس وحدته، وهو ابن الخامسة و الثلاثين ، فقد والديه منذ مدة طويلة وانكفأ على نفسه يعمل ويتسلى بتربية الطيور المنزلة وهي هوايته التي عشقها وانست وحدته لمدة طويلة.

نوار لم يكن يريد الزواج اصلا ولطالما رفض الفكرة بل وحاربها بقوه ، لولا محاولات خالته صفاء المستميتة والتي تكبره بعشر اعوام ، فقد كانت ليل نهار تطلب منه الزواج لكي يخرج من حالة الوحدة التي يرسمها حول نفسه ، بالمقابل كان نوار لا يستمع لكلمات خالته لإحساسه بعدم الرغبة بتأسيس اسرة و تحمل مسؤوليات الزواج ولأنه في قرارة نفسه لا يريد الارتباط بأي شيء يخرجه من عالمه الخاص الذي يحيط به نفسه ، بعد نهاية العرس ونهاية كل ترتيبات الحفلة والتي لا يتوجب على العريس فيها رؤية عروسه قبل الدخول الى مخدعها حسب عادات وتقاليد بلدة نوار ، دخل الغرفة ليرى الخطيبة والزوجة لأول مرة وقد كان يرسم في مخيلته ابهى الصور لها وذلك حسب وصف خالته صفاء ولكن المفاجئة رسمت وجهه عندما فتح باب غرفة النوم فوجد طفلة صغيرة تحمل بيدها لعبه صغيرة مهترئة ، ولا تدري ماذا يحدث

حولها ربما افهموها ان كل ذلك الطبل والزمر وذلك الفستان الابيض المزركش ايضا هي لعبه لن تنتهي الا بالضحك والفرح ، لقد كانت ياسمين طفلة يتيمة ، فقدت والدتها وتربت في كنف زوجة ابيها ، الذي فارق الحياة هو الاخر بعد الزواج من زوجته الثانية بعدة اعوام ، كانت ياسمين جميلة جدا وذات تقاطيع وملامح شرقية جذابة ببشرة قمحية لامعة وعيون سوداء واسعة وشعر فاحم منسدل على ضهرها لطوله الزائد ولكنها ، لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها ، عندما دخل نوار لغرفة النوم جُن جنونه وخرج لخالته صفاء صارخاً بها ومؤنباً ، لم يكن يتوقع انها ستزوجه طفلة صغيرة لا تعرف من الحياة شيء غير لعبتها الصغيرة الرثة، ولكن خالته قالت له

- انها ليست صغيرة ، عندما تزوجت وانجبت ابني سالم كنت اكبرها بعامين او ثلاثة ، يا ابن اختي انها كالعجينة اللينة وتستطيع ان تخبزها كما تشاء ، رَبها على مزاجك وعودها على طبائعك ، انها يتيمة وكانت تعاني من الاهانة والحرمان والضرب في بيت خالتها ، وهي جميلة كما ترى ، وصغيرة اين الخطأ في ما فعلت عليك ان تشكرني على هذا الاختيار الصائب هيا واذهب لعروسك فهي بانتظاركَ .....

دخل نوار الى غرقة النوم ووجد ياسمين تجلس على طرف السرير الابيض وتضم لعبتها بقوة وكأنها بقايا اسرتها التى لم تعد موجودة ، جلس على طرف السرير وظهرة للطفلة قال لها

- ما اسمك يا حلوة

شدت ياسمين على لعبتها وكأنها خافت من نوار وقالت

- ياسمين وانت ما أسمك قالتها ببراءة

استدار لها وقال

- انا اسمي عمو نوار

ابتسمت وقالت

- ولكن انا لا يوجد عندي عم ....

قال لها - من ألان اصبح لديك عم واب وستكونين ابنه لي ما رأيك

ابتسمت وقالت وهي تمد لعبتها ليراها نوار

- هذه لعبتي زينب وهي صديقتي الوحيدة ما رأيك يا عمو ان تكون هي ايضا معنا

ابتسم وهو يمسح على شعرها وقال

- موافق سوف اكون عمكما انتما الاثنتين وألان هيا الى النوم غدا سوف اخذك للمدرسة وسوف اشتري لك ثياب جديدة وسوف اعتني بك

ابتسمت ياسمين وهززت رأسها موافقة ثم خلدت للنوم

حياة جديدة ..

في اليوم التالي ، اتفق نوار وياسمين على ان يُكوّنان اسرة صغيرة بطريقة مختلفة ، ان تكون زوجة وابنة في ذات الوقت ، اتفقا على ان يظهرا امام الناس كزوجين ،ولكن في الحقيقة يكونان اب وابنته على الرغم من ان ياسمين لم تكن تفهم كل ذلك فهي لا تزال صغيرة ولكنها سرعان ما وثقت بنوار ، بعد ان رأت منه حسن المعاملة والطيبة ، لم تعرف تماما ما بدور بخلده ولكنها فرحت بحياتها الجديدة بعيد عن ظلم وجوّر زوجة والدها الظالمة ، نوار تعهد لياسمين بأن يتكفل بدراستها وتعليمها حتى تكبر وان لا يدخر جهداً في هذا المجال ، وهكذا يستطيع العودة لحياته الطبيعية لأنه لم يرد تطليق ياسمين لكي لا تعود لظلم خالتها وكذلك لأجل الا تعود خالته هو لمحاولة ازعاجه بحجة اقناعه بالزواج ، وبذا يستطيع التفرغ لعمله وتطويره وبناء مستقبله كما يحب على الرغم من انه ليس بالرجل ذو الطموحات الكبيرة ولكنه في تلك الفترة من حياته لم يكن راغبة بأن يكون زوج ولم يرد ان يدخل ذلك العالم بسرعة رغم انه في أواسط الثلاثينات من عمره.

اما الطفلة ياسمين فقد كانت محظوظة اذا انها وجدت اخيرا ذلك الحضن الدافئ الذي لطالما فقدته في بيت خالتها ، هي لم تفهم كل الكلمات التي قالها نوار ولكنها وجدت نفسها في وضع مرتاح ومختلف ، نعم كانت محظوظة اذ انها لم تقع بين يدّي مهووس بالجنس او عاشق للأجساد الغضة الطرية والتي لأجلها سقطت الاف الفتيات الصغيرات في قفص الزوجية المبكرة ولحسن حظها أن نوار كان شخص طيب القلب وغير مهووس بتلك الافكار .

في اليوم التالي اصطحب نوار ياسمين لمدرسة خاصة وسجلها بها كانت قريبة من المنزل الذي يقع في حي متوسط الرقي وسط

المدينة ورثة نوار عن امه ، ثم اشترى لها كل حاجيات المدرسة من ملبس ودفاتر واقلام وحقيبة ، ثم سارت الايام واستمر باصطحابها الى المدرسة واعادتها بعد نهاية الدوام ، كانت حياتهما داخل المنزل كحياة اب وابنته ف ياسمين الصغيرة ملآت حياة نوار بدلالها وغنجها ، ولم يشعر للحظة واحدة أنها زوجته ، بل كان يشعر انها طفلته المدللة ، ياسمين كانت تخاطب نوار دائما بإسمه ولم تقل له يوماً ابي ، اما خالتها فلم تزرها ابدا منذ تزوجت على عكس خالة نوار صفاء التي كانت تزوره بشكل اسبوعي .

صفاء كانت فضولية وشديدة الملاحظة وتدقق على أصغر التفاصيل ، كانت دائما تسأل عن الحمل وكانت تدخل غرفة النوم وتتفحص الالبسة المغرية التي اشترتها لياسمين عندما زوجتها لنوار لكي تتأكد من استخدامها ، لكن نوار كان أكثر ذكاء منها وكان دوما يغسل تلك الالبسة الضيقة والفساتين المغرية رغم أنها لم تلبس ابداً ، ولكنها رغم ذلك بدأت تشعر بشيء غريب يحدث فقد مضت اشهر والفتاة الصغيرة لم تحمل وهي التي زوجتها لنوار بعد ان سالت خالتها عن عادتها الشهرية وتأكدت انها قد وصلت سن البلوغ ، اما نوار فقد كان يتذرع لها دائما بإن الطبيب قد اخبره انها ستنجب بعد سن العشرين لأنها مصابة بقزم الرحم وهو مرض يصيب بعض النساء عند الزواج المبكر كان قد قرأ عنه في الانترنت لذى طلبت منه صفاء أن تزوجه من إمراه أخرى لكنه رفض ، وعندما كانت تسأله عن دراستها كان يجيب أنه يريد أن يعلمها لكي تحصل على شهادة عليا ولكي تكون أم صالحة ومثقفة عندما يحين موعد انجابها للأطفال ، صفاء لم تقتنع بكل كلام نوار وكانت تحاول دوما أن تقنعه بالزواج من جديد ولكنه يرفض ، وبقيت على تلك الحالة حتى توفيت بعد خمس سنوات من زواج نوار وياسمين ، وكان لوفاتها وقع حزين على نوار الذي كان

يعتبرها كأم له ، وهي القريب الوحيد الذي كان له من بعد وفاة امه وابيه ، حتى انه بقي يزور قبرها يوميا لعدة أشهر بعد وفاتها .

وبالعودة الى حياة نوار وياسمين داخل منزلهما دعونا ندلف الى الداخل ونتابع ما يحدث من خلال هذا الحديث الذي جرى بينهما اثناء العشاء ، كان المنزل مؤلف من ثلاث غرف وصاله يقع في بناء طابقي مؤلف من الكثير من الطوابق العالية ، واسع وله إطلالات جميلة على جهتين ، كان منزل جميل ومرتب وذو طابع بسيط فيه الكثير من اللمسات الفنية الجميلة التي وضعها نوار بحكم محبته للوحدة وعدم شغفه بالاختلاط والحياة الاجتماعية ، كاللوحات المعلقة على الجدران وقطع الزينة المتدلية من السقف والاثاث الانيق الذي لا يميل للرقي بقدر ميله للذوق واللمسة الفنية فمن خلال امور بسيطة وافكار عادية كان نوار يُجّمل ويزين بيته فقد وضع ركن في وسط الصالة لطيوره التي يحبها ولا يستطيع التخلي عنها فقد صنع رفوفا جميلة وضع على كل واحد منها قفص من اقفاصه وسلط عليها ضوء بعدة الوان يشغله عندما يريد ووضع فوق تلك الرفوف طاقات للتهوية وسحب الرائحة التي تصدر عن الطيور الى خارج الصالة وخارج الشقة من خلال تمريرها الى الشرفة ، كان شديد الاهتمام بالتفاصيل والنظافة احيانا يقضي أيام كاملة بتنظيف المنزل ، كان المنزل بالنسبة له قصره وانتمائه وشيئا من ذاكرته .

اعتاد نوار وياسمين تناول الطعام على طاولة المطبخ الدائرية ذات الملمس الناعم اللامع لنرى ما يدور بينهما على تلك الطاولة ....

ياسمين - ما الطبخة اليوم ، يا نوار!

نوار - لم اطبخ اليوم لقد تأخرت في العمل ، سوف نأكل البيض المقلي ، والبطاطا المسلوقة وبعض المقبلات ما رأيك ؟

ياسمين بتذمر - حسناً ، مع اني احب طبخاتك اللذيذة

يبتسم - حسنا غداً بإذن الله ، نطبخ

ثم بدأ بقلي البيض وسلق البطاطس وتحضير تلك الوجبة السريعة ، وهو يتناول سيجارة يضعها بفمه ويترك يديه حرتين في العمل على صنع الوجبة

بعدها وضع الطعام على الطاولة وعادا للحديث

نوار - وكيف المدرسة ؟

- الحمدلله ، جيدا ولكن هناك فتاة تضايقني دائما وتختلق المشاكل

نوار - لماذا هل تشاجرتما !

ياسمين - لا ، لكنها تكرهني وتحاول مضايقتي دوما ، هي بنت عائلة ثرية وتغار من كل طالبة جديدة تأتي للمدرسة ، هكذا قالت لي صديقتي حسناء ، قالت ايضا أنها تسببت بطرد طالبة قبلي

والمدير لا يستطيع طردها لان والدها هو من يؤجر بناء المدرسة للإدارة فهم مضطرون دوما لمسايرتها رغم سوء تصرفاتها .

نوار - هل تحبين ان اذهب للمدرسة واخبر المدير او المعلمة

- لا .... لا داعي فالموضوع بسيط سأحله بنفسي ، هي ستمل في النهاية وستبحث عن شخص اخر لتضايقه ، اني استغرب منها لديها كل شيء جميلة وشقراء وغنية ولديها المال ، بل حتى لديها الذكاء فهي متفوقة ، ولكن ينقصها الاخلاق

نوار - اجل ينقصها أهم شيء ، الاخلاق التي لا يمكن أن تشتري بالمال او بالجمال ، فهي خليط من التربية والفطرة

بعد تناول الطعام ، خلدا للنوم طبعا نوار استبدل السرير المزدوج الكبير ب سريرين منفصلين منذ قرر كفالة ياسمين .....

مشاكل في المدرسة ....

كانت ياسمين تتوجه كل يوم للمدرسة ، وكانت المشكلة مع تلك الفتاة الغيورة التي تدعى سارة تزداد كل يوم ، ولم تكن ياسمين تدري سبب كره سارة لها ، سارة كانت فتاة شقراء بعيون ملونة وذات جمال تزيدها نقط النمش على خدودها جمالاً وتجعد شعرها يمنحها جاذبية أكبر ، ولكنها شديدة الغيرة والدلال ، وكانت تنحدر من اسرة غنية ومرتاحة الى حد ما ، كانت سارة في نفس الصف الذي به ياسمين ، ولعل محرك غيرتها كان تفوق ياسمين الدراسي عليها رغم انها متفوقة ايضا ، فلطالما حصلت ياسمين على اطراء معلميها وثنائهم على تفوقها وعلى حسن اخلاقها ، ومن هنا كانت سارة دوما تحيك المؤامرات ، وتحاول الايقاع بياسمين .

في احد الايام رن جرس الباحة ونزلت الفتيات من الصفوف ، كانت الباحة ذات سور عالي، واسع ودائري وتحيط بها مزروعات وشجيرات الورود حيث تجلس الفتيات في فيأها امام الباحة التي نصب وسطها نصب لملعب كرة سلة ، كالعادة نزلت ياسمين وجلست في ضل شجيرة ورد جوري حمراء وتناولت بعض قطع البسكويت وعصير ، رأت سارة ياسمين من بعيد وكزت على اسنانها بعنجهية و تقدمت اليها وكانت برفقتها صديقتين لها تلازمانها كظلها ، قالت لها وهي تتلاعب بضفيرة شعرها الاشقر

- انتي مخادعة ، وتحسنين خداع المعلمين ،ولكني اعرفك على حقيقتك ، ولم تخدعيني ابدا

استدارت ياسمين في الجهة المعاكسة لسارة واشاحت بوجهها عنها وتابعت قضم قطع البسكويت وكأن شيء لم يكن .

استفزت تلك الحركة سارة التي سارت الى الامام لتقابل وجه ياسمين وتقول

- منذ اتيتِ لهذه المدرسة ، والجميع مخدوع بكِ وانا الوحيدة التي اعرفك ، انتي لست سوى تلميذة فاشلة ومهما حاولتِ سوف اعود افضل طالبه في الصف رغم عنكِ ، انا اكرهكِ من كل قلبي .

ثم امسكت عبوة ماء ، وفتحتها ورشت ياسمين بالماء حتى افرغتها عليها

وهنا انبثق الدمع من عيون الفتاة اليتيمة ، وحاولت الابتعاد عنها والعودة للصف ولكن الفتاتين اللتين يرافقان سارة وقفتا في طريقها ، وفجأة استدارت ياسمين ليقابل وجهها وجه سارة وقالت

- لا اريد ان اختلق المشاكل ، اريد ان اركز بدراستي فقط ، ارجوكِ انا لا مشكلة لي معكِ ، ولم أوذيكِ ابدا لما تكرهيني انا لا اكرهكِ

ردت سارة - لا تتصنعي البراءة ، لقد خطفتي كل الاضواء في المدرسة منذ اتيتي ، انتِ ممثلة بارعة تدعين انك طيبة ولكنك في

الحقيقة افعى تبث سمومها في كل مكان ، لن تخدعيني وسأكشف للجميع تمثيلكِ ، واقسم على ذلك

ازدادت بكاء ياسمين ، وظهرت دموعها على خدودها بوضوح حاولت العبور ولكنها قوبلت بالصد من سارة وفجأة وبحركة عفوية دفعتها لكي تستطيع المرور ، فوقعت سارة على الارض وبالغت بصراخها بل ورمت بثقلها على الارض حتى ادعت انها كسرت يديها .

جاءت المعلمات واجتمعت الطالبات ، وتم تأنيب ياسمين كثيرا على ما فعلت حيث ظهرت وكأنها هي المعتدية وساعد بذلك شهادة صديقتي سارة ، وهنا ارسلت ياسمين للبيت وطلب حضور ولي امرها في اليوم التالي .....

اما سارة فقد اسرعت ووضعت الجبس على يدها كي تبدو مكسورة واتصلت بأهلها لكي تجعل المشكلة اكبر واكبر وكأنها كانت تنتظر مثل تلك الهدية من ياسمين لكي تنتصر عليها وتظهرها للجميع كطالبة عدوانية ومشاغبة وهذا ما تم ، حيث انها استطاعت تشويه صورة ياسمين امام كل من بالمدرسة من طالبات ومعلمات وإداريات .....

ومرت السنون.....

تركت ياسمين تلك المدرسة القريبة واضطرت للالتحاق بمدرسة ابعد لكي تتخلص من غيرة تلك الفتاة منها ، ومنذ ذاك الوقت لم تعد تسمع عنها اي شيء ، اما نوار فقد استمر على ذات الروتين من العمل والعمل فقط ، دون ان يشعر بحاجته لزوجة او اطفال فقد كانت ياسمين تمثل له كل هذه الامور وتملئ له كل ذلك الفراغ .

مرت السنوات بسرعة ، وكأنها هبة ريح او نسمة هواء كبرت ياسمين و دخلت الجامعة وسجلت في قسم الطب البشري بعد تميزها وحصولها على اعلى المعدلات في الثانوية هي الحياة هكذا دوماً تمر بسرعة البرق وخصوصا عندما تتحول الى شيء اقرب الى الروتين عكس السنوات الحزينة التي تمر ثقيلة بطيئة ياسمين كالزهرة التي تفتحت واعطت اجمل الروائح عندما تكونت لها تلك البيئة الصالحة للإبداع والتميز ، تُرى ماذا كان حالها لو أنها بقيت في بيت خالتها مريم المرأة الحرباء الكارهة لها بالتأكيد كانت النتيجة ستكون كارثية ولكن الله اجتبا لها نوار صاحب القلب العطوف ليضع قطارها على السكة الصحيحة ، هي الان في الحادية والعشرين من عمرها ، اصبحت فتاة جميلة ومثقفة وتجيد الحوار والحديث وكل العيون تشخص اليها ، فقد كانت الى جانب الطب تهوى المطالعة والرسم كانت كل اسبوع تقرأ رواية او اثنتين او كانت ترسم لوحة جميلة في مرسمها الصغير وهو غرفة منحها اياها نوار في بيته فقط لتمارس هوايتها بها ، كانت تجيد الاقناع وتتكلم الانكليزية والفرنسية بطلاقة بفضل الدورات المكثفة التي كانت تسجل بها بعد اصرار نوار عليها بالإضافة لذكائها وقدرتها على التطور الدائم .

هنا احس نوار بأن ثمرة جهدة قد كُللت بالنجاح واصبح قادراً تماماً على البدء بالخطوة الثانية من خطته وهي ان يطلب من ياسمين حقوقه الزوجية كاملة ، هو كان ينتظرها حتى تكبر وتشب ، هو لم

يقبل ان يتزوجها طفلة لأنه رأى انهم استغلوا يتمها وحاجة زوجة ابيها للتخلص منها ، نوار اعتقد انه إن فعل ذلك يستطيع ان يتزوج منها مرتاح البال ، وبدأ يفكر جديا بمكاشفة ياسمين بما يفكر به ولكنه لم يكن يعلم ماذا كان يخطر ببال ياسمين او اذا ما كانت تشاركه ذات الشعور .....

ها هي ياسمين تجلس في حديقة الجامعة بشعرها الاسود الطويل تضع بعض كتبها الى جانبها وهي مرتدية بلوزتها الحمراء و سروال الجينز الذي يفضل كل طلاب الجامعة لبسه ،ويفوح من ثنايا ثيابها رائحة عطرها الزاكي الذي يخدش الانوف ويزيدها سحراً وجاذبية ، وكان الى جانبها شاب طويل يدعى حامد وله ذقن خفيف يرتدي الجاكت السوداء ويضع النظارة "الري بان" "ray_ban " الغالية الثمن وبيده يضع ساعته "الرولكس" باهظة الثمن ، هو شاب ثري ولا يلبس إلا أثمن الماركات العالمية ويحسده كل طلاب الجامعة فهو يأتي بسيارة حمراء فيراري شديدة الروعة هو آلان يمسك يدي ياسمين ويجري بينهما هذا الحوار

حامد - كم اعشق هذه الابتسامة الرائعة التي ترتسم على شفتيكِ الرائعتين

ترد بخجل ياسمين - لا تحرجني يا حامد ، فقلبي لا يتحمل كل هذا الغزل

حامد - انها الحقيقة وليست كلمات غزل لعاشق متيم فقط

ياسمين - وانا احبك ايضا ....

ياسمين لم تخبر اي احد من المقربين بها عن طبيعة علاقتها بنوار ، والجميع كان يظن انها ابنته ولا احد يعلم انها زوجته ، ربما كانت خالة نوار الوحيدة التي كانت دائما ما تذكرهم بوضعهما ولكنها منذ توفيت ، اصبحت طبيعة علاقتهما طي الكتمان ولربما طي النسيان ، ياسمين لم تعرف ما جعلها تحب حامد هي تحب شكلة وتحب دلاله لها وبذخه عليها ، رغم انها ليست من النوع المادي الذي يحب المال ولكنه بالتأكيد من النوع المحب للدلال وهذا ما يحكم كل علاقاتها مع الناس ولربما كانت طبيعة تربية نوار لها هي التي رسمت لها هذه الشخصية

فلنعد لنتابع بقية الحديث بينهما

حامد - لم اعد اطيق الانتظار ، اريد ان اتقدم لخطبتك من اهلك ؟

هنا قبض على قلب ياسمين واحسست ببعض الاحراج ، وقالت بتلكؤ

- هذا امر سابق لآوانه يا حبيبي ، دعني نتخرج من الجامعة وبعدها نفكر بالارتباط

شد على يديها اكثر ، وهو ينظر في عينيها وقال

- لم اعد اطيق الانتظار ، الا تحسين بي اريد ان نتزوج ونتابع دراستنا

فتحت عينيها وهي تنظر اليه بذهول وتقول

- لن يقبل والدي بهذا ، ارجوك يا حبيبي دعني امهد الموضوع ، لعله يقبل ولكن ليس في هذه الفترة ، على الاقل لنهاية دراستنا

حامد- ان الموضوع بات في يدك عليكي ان تخبري والدك في اقرب وقت وانا مستعد لخطبتك ،غدا ان اردتِ

ثم ضحكت وقالت - وانا اتمنى ان اكون زوجتك اليوم قبل الغد ، ولكن كل شي بحاجة للوقت ، لا يمكن ان تطبخ الامور على عجل هكذا ، اصبر ....

حامد - اه من الصبر ، انه عدوي اللدود ، كيف لرجل ان يصبر امام هكذا شفاه وهكذا رقبة وهكذا عيون واقترب وكأنه يريد تقبيلها لكنها ابتعدت بسرعة وقالت بغضب

- إياك يا حامد ان تكررها وإلا لن تراني مرة اخرى

رد _ حسنا اهدأي ، لن اكررها

ثم امسك يديها وسارا في الجامعة ، ليتسكعا ويمضيا اجمل الاوقات ....

قررت ياسمين اخبار نوار عن علاقتها ب حامد في ذلك اليوم .

هي كانت تظن ان نوار يربيها ك أب وانه لم يطلقها خوفا من خالته ولسانها الطويل ، وكذلك خوفا من الوقوع في الحرام بسبب وجودها معه كل تلك السنون تحت سقف واحد ، ولم يخطر ببالها يوما انه يحبها ويعشقها كزوجة وانه لم ينسى للحظة انه زوجته ، وانه كان ينتظر الوقت المناسب لكي يؤسس معها اسرة سعيدة قائمة على التكافؤ وليس على زواج الاجبار او استغلال طفولتها وانتهاك براءتها ....

بدأت تتشابك الاحداث

ترى كيف ستواجه ياسمين نوار بقرارها ، وما هو رد فعل نوار الذي يمتلك كل خيوط اللعبة

اتمنى ان تكتبوا في التعليقات توقعاتكم ، هل ستتزوج ياسمين من حامد ام ان نوار سيمنعها وسيجعلها تترك الجامعة.

صدمة كبرى...

في تلك الليلة التي قررت فيها نوار مصارحة ياسمين برغبته بالتحول الى العلاقة الزوجية معها ، كانت ليلة مثالية فالأجواء ربيعية والهواء الذي يتسلل من النافذة المشرفة على الشارع ، كان هواء منعشا يبعث في النفس الطمأنينة والخشوع ، وكان تمايل الستائر امام النافذة يطفي شيء من الرومنسية الخفيفة على غرفة الجلوس ، حضّر نوار ألذ الاطباق واشهاها ، كما انه وضع الشموع الحمراء على المائدة وحول اطباق الطعام ، بعد ان خفف من الانارة بشكل متعمد ليطفئ على الوضع طابعا من اجواء العشاق ، فلندلف الى ذلك الحوار الحاسم الذي جرى في تلك الليلة .....

نوار - ياسمينتي تعالي الى الطعام

ترد من الداخل - حسناً يا نوار ، انا قادمة ثوانٍ فقط واكون امامك

لم تعتد ياسمين على تحضير الطعام فقد كان نوار يوفر لها كل اشكال الراحة في سبيل التفرغ لدراستها ، وعلمها ، حتى انا بلغت هذا العمر ولا تستطيع قلي بيضتين لوحدها ....

دخلت ياسمين ، وقد بدت عليها كل قسمات الانوثة الواضحة وبدى وضوح جمالها الآخاذ الذي يسلب الألباب والأفئدة، عيونها الواسعة بسوادهما المميز وشعرها الفاحم الغزير الذي يتجاوز ضهرها منسدلً كالشلال على جسدها ، وقوامها الممشوق ورائحة عطرها الفواح ، صدرها الكبير وخصرها النحيل شفاهها المنتفخة وصوتها

الناعم المليء بالدلال والغنج ، كان كل شيء بها يتفجر لهيب في قلوب الرجال ، فما بالك بنوار الذي يعيش معها في ذات البيت ل سنوات طويلة جلست وبدأت بتناول الطعام

قالت - ما آلذ طبخك يا نوار ، انك ماهر في كل شيء

قال - هو لذيذ لأنك ترين كل شي حولك جميل كجمال روحك ....

ابتسمت وقالت - اريد ان احادثك في موضوع

قال - جيد وانا ايضا اريد ان احادثكِ في موضوع مهم

ردت - ما هو !!!

قال - لا .....اخبريني انتي اولا ما هو الموضوع الذي تريدين اخباري اياه

قالت وهي تتناول رشغة شاي - حسناً سأخبرك ، امممم

ثم صمتت

قال نوار - ما بك لما هذا الخجل هل الموضوع محرج !

قالت - اجل هو محرج قليلاً

رد - لا تخجلي فقط قولي..... هيا انا بإنتظارك

قالت - انا احب شاب في الكلية وهو يريد الارتباط بي

توقف نوار فجأة عن الطعام وسقطت من يده الشوكة والسكينة وكأن فاجعة حلت به او صاعقة قد ضربت جسده قال

- ماذا !!!

قالت - كما سمعت هناك شاب يحبني وانا احبه ونريد الارتباط

قال لها وعيونه متسمرة بعينيها وكأنها البرق

- لكني لست والدك ، انا زوجك هل نسيتي ام تناسيتي

قالت - لا لست ناسية او متناسية ، ولكنك كنت كالأب لي طوال تلك السنين وانا اعتبرك ابي واخي وكل اسرتي ....

قال - لكني لا أعتبرك ابنه لي

قالت - ماذا تعني ، اذا ما تعتبرني!!!؟

قال - اعتبركِ زوجتي ، فقط زوجتي

ضحكت بسخرية وقالت

- نوار ، هل جننت نحن لسنا الا اب وابنته ولست زوجتك انت لم تلمسني يوما ولم احس يوم بك الا اب والان فجأة تقول زوجه انت تمزح اليس كذلك

قال - لم المسك لان لدي اخلاق ، وعزة نفس لأني لم ارد اغتصاب طفلة وتدمير مستقبلها ولأني اردت ان اصنع منك الانثى التي يحلم بها نوار ، الانثى القوية الجميلة المثقفة الواعية الذكية ، فأذا بك تصبحين حلم لغيري وليس لي، اليوم كنت اريد ان اصارحك بحبي لكِ وبرغبتي بالزواج بكِ من جديد ، وقد حجزت في افخم الفنادق وانتقيت لك اجمل فستان عرس ، وكنت اعدها لك مفاجئة لنبدأ حياتنا من جديد كزوج وزوجه .

بدأ التوتر يظهرُ عليها عندما احست بجدية كلام نوار وقفت وقالت ...

- كفاك سخفاً يا نوار ، انا لا اراك الا اب لي ، ولم اتخيل يوما ان تكون زوجي اسمع انا لا احبك .....

نظر لها بفاجعة ثم احست بوقع الكلمة التي قالتها فحاولت تصليح ما افسدته واردفت

-اقصد لا احبك كزوج ، انت ابي فقط

قال لها - لن تتزوجي ذلك الحبيب المعتوه ، ولن تكوني الا لي

ثارت من الغضب وصرخت وهي تقترب منه

- هذا ليس من شأنك ، انت لست والدي ولست مسؤول عني

قال صارخا وهي يمسك يديها ويهز جسدها

- انا زوجك
- انا زوجك

قالت - لم ولن تكون يوما زوج لي

ثم صفعها بكل قوته على وجهها وقال
- يا لكِ من جاحدة ، اغربي عن وجهي هيا الى غرفتك
وضعت يديها على وجهها وركضت الى غرفتها واغلقت الباب ....

الزفاف...

في بهو فندق كبير وفخم وسط المدينة حدث في عرس ياسمين ، الفندق يحتوي أكثر من مائتا غرفة يتمنى كل سكان المدينة أن يقضوا ليلة واحدة به فقط ، كان فخمة للغاية ويتألف من ثلاثة طوابق فيها اجنحة فارهة بعضها فسيح جدا إذ يحوى سبعين غرفة في كل طابق أو أكثر ، وتتجهز جميعا ببرك ماء

وامام حشد ضخم من الضيوف والكاميرات والطبول التي تُقرع والموسيقا التي تصم الاذان تدخل ياسمين مرتديا ثوبها الابيض الطويل المزركش باحترافية والمزين بالورود والذي ابتاعته والدة حامد من فرنسا خصيصاً للمناسبة ، وخلفها بعض الاطفال يجروه وكأنها ملكة تتجه الى عرشها بينما كان حامد يمسك بيديها مرتدياً بدلة سوداء جميلة تنم عن اناقة واضحة ويضع وردة حمراء في جيبها الايسر ، كان المدعوون ينظرون اليهما بكل انتباه ليرسموا ادق التفاصيل عن صورتيهما دعيت كل المحطات والمجلات الاجتماعية الخاصة بالطبقة المخملية ، لان عائلة حامد ارادته عرس اسطورية يتحدث عنه الجميع ، دعيت فرق غنائية من مدن اخرى لإحياء الحفل ، بل انهم استجلبوا راقصات محترفات ايضا لإضفاء شي ء من التنوع على حفل الزفاف .

سار العروسان بكل أُبةً واغترار باتجاه الكرسيين المخصصين لهما ، بينما كانت عيون والدي حامد الثري تشخصان اليهما بكل فرح وسرور ، اما في تلك الزاوية المهملة من الصالة جلس رجل اربعيني يكسو الشيب بعض المساحات في رأسه وذقنه ، ينظر اليهما متصنعا الفرح ، بينما كان الحزن يجز قلبه وكأنه سكين ماضٍ ، لقد كان نوار الرجل البسيط الخلوق يرتدي بدلته القرمزية ؛ نعم هي ذاتها البدلة التي لبسها وقت عرسه على ياسمين لم

يرتديها سوى مرة واحدة ، عند زواجه ثم أعاد تخبأتها املا باستخدامها في وقت أخر ، لكنه لم يكن يتخيل أن يرتديها في هذه المناسبة وفي عرس ياسمين ، ما كان منه إلا ان ادعى امام الجميع انه والد ياسمين ، فقط كي لا يجعلها تحزن وكي يحافظ على البسمة مرسومة على وجهها ، لابد انكم قرائي الافاضل تتساءلون كيف وصل المشهد لهذه اللحظة وكيف اقنعت ياسمين او اجبرت بالأصح نوار على الرضوخ لمطلبها وتمثيل دور الاب ضاربتاً بعرض الحائط مشاعرة المتقدة والجياشة اتجاهها ، فلنعد عدة اسابيع للوراء ولندلف الى ذلك المنزل الذي اقامت به مع نوار لنرى ما الذي حصل ....

بعد تلك الليلة المشحونة بين نوار وياسمين ، سارت الامور بشكل سيء فياسمين رفضت الذهاب للجامعة لأيام كما أنها هددت بالانتحار عدة مرات ونفذت وعيدها فقد تناولت مشطين كاملين من الحبوب ، وبعد فشلها بسبب انقاذ نوار لها حاولت كالمراهقات قطع وريد يدها اليسرى ، فما كان من نوار إلا ان اذعن لطلبها صاغرة متحسرا ، فقد كان حبه لها يفوق قدرة اي كاتب مثلي بملكاته اللغوية على وصفها .

حب جارف وكبير كانت ياسمين له كل الاسرة ، جرب معها دور الاب والاخ ونجح بذلك بل وكان سعيداً به لسنوات خلت ثم جرب معها دور المعلم وكان اشد سعادة به ايضا ولكن حين قرر ان يكمل اللوحة ويجرب معها دور الزوج بدل العشيق الصامت صدته ، وكسرت قلبه لم يكن يريد لها أن تتأذى ولم يتخيل يوما ان دلاله لها قد يوصلها حد الانتحار ، ولشده حبه لها قرر ان يضحي بقلبه ويقدمه ميتا على مذبح حبه لها ، فقد رأى حبها الشديد لحامد وتعلقها به ، واقنع نفسه بأن الافضل لها أن تتزوج شاب وسيم فتي وغني ومستقبله بانتظاره خير لها من الارتماء بأحضان رجل في

خريف العمر وفي بداية سن العودة الى الخلف ، لذى فقد قرر القبول .

اما ياسمين فقد كانت تريد حامد ولا شيء إلا حامد حبيبها وعشيقها ،وكأنه لعبة اعجبتها في السوق وطلبت الى والدها شراءها لها ، في الواقع نوار وصل في درجة تدليله لها حد اللاعودة كان ينفذ اي شي لها ، دون نقاش وبكل انصياع بل وهو مسرور لدرجة انها نسيت ان له كيان او مشاعر ، كانت تظن انه مجرد مكنة لتحقيق الامنيات ، وهذه المكنة ليست لها اي احاسيس تمام كالتلفاز او كدميتها التي جاءت معها حين تزوجت والتي بقيت حتى لحظة زواجها معها رفيقة لدربها لا تعرف من ماضيها شيء إلاها .

لذى وبعد اصرارها الجنوني على الزواج بحامد ، تقدم لها نوار وقال لها هذه الكلمات ..

- ربما لن تفهمي ما سأقوله لك آلان ، وربما ستندمين حين لا ينفعك ندم ، لكن انا زوجك و عشت معك طوال العشر سنوات المنصرمة كزوج ولكن دون ان المس شعرة منك ، هل تدركين كم هذا صعب على الرجال بالتأكيد لن تعرفي آلان ولكن بعد ان تتزوجي ستعرفين ان ما قمت به امر اشبه بالمستحيل ، كيف لا وانتِ فاتنة وفيكِ كل جمال الكون ، وكل اغراءات الانوثة ، لست هنا احاول ان أمنّ عليكِ بما فعلت ولكن اريد ان اقول هذه الكلمات قبل الوداع ، اعلمي انني كنت احيانا اصل لحالات من الرغبة تفوق قدرتي على وصفها لكِ وخصوصا بعد أن كبرتي ولكن هل تسألتِ من اين كل هذه الندبات وحروق اعقاب السجائر على يدي انها من فعلي ، كنت احرق يدي كلما فتنني الشيطان مزين لي

جسدك الرائع كنت احرق جسدي ، كي ابتعد وأُلجم ، كنت اطفئ اعقاب السجائر بيدي ولربما هذا ما منعي من الإقلاع عن التدخين كلما حاولت ذلك ، كنت اقول لازالت صغيرة ولازالت تدرس ، ولا اريد ان استبق الامور ، نعم يا صغيرتي كنت احرق جسدي كي تنامي بإطمئنان بعيدا عن شهوات البشر وقذاراتهم ، قد يكون هذا الشاب طيب وقد يحبك لكنه لن يقدم لك ربع ما قدمت وانتي اخترته فقط لأنه اصغر مني ببضعة اعوام اغرتكِ عضلاته وشعره الاسود والبسته الجميلة وجيوبه الممتلئة ، رغم اني صنعت منك طبيبة وقطعت اللقمة عن فمي لأضعها بفمك ، ياسمين يا حلوتي ، احفظي هذه الجمل ولا تنسيها وتذكري ما قلته لك قبل قليل لأنك ستفهمينها فيما بعد .

كما قلت بعد فوات الاوان ، غدا اطلبي من حبيبك ان يصطحب والديه ويتقدم لخطبتك من والدك نوار وأنا سأقبل مباشرتا ، اما ألان فانت طالق طالق طالق .....وبما انني طلقتك فسأترك البيت ريثما تتجهزين للزواج فمن المحرم بقائي بجوارك بعد ان طلقتك ، ولكن أرجوكِ اعتني بطيوري الصغيرة التي اربيها في المنزل ريثما تنتهي هذه المسرحية السخيفة ، انتي لم تطعميها يوما ولكن لأجلي حاولي ان لا تموت تلك الطيور فهي الشيء الوحيد الذي سيبقى لي من بعدك انيسً ومسلياً وصديقاً وهي لطالما كانت خليلي الوحيد جيل بعد جيل .....

ثم حمل حقيبته التي جهزها مسبقاً وغادر ....

حياة الزواج ....

بعد إنقضاء حفل الزفاف، انطلقت ياسمين وحامد في رحلة شهر عسل الى تايلاند بلد الانهار والاشجار الكثيفة والفيلة ، بلد الماء والخضرة والاجواء الحميمية قضت بها ياسمين اسعد اجازة في حياتها ، وهي التي لم تغادر بلدها منذ ولدت ، للمرة الاولى رأت الشواطئ الخلابة وامتطت الطائرة ، وتحدثت باللغة الانكليزية والفرنسية لأسابيع مع التايلنديين في الفندق الذي أقامت به ، كل تلك الامور جعلتها سعيدة وفرحة بتلك الحياة الجديدة التي منحتها لنفسها ، في رحلة بحثها عن السعادة والحب ، كانت سعيدة بحصولها على الشخص الذي احبته ودافعت عن حبها له بقوة .

بعد عودتهما من تايلاند ، انطلقت ياسمين للسكن في فيلة فخمة وسط المدينة وبالقرب من الجامعة مع عائلة زوجها ، ولكن الامور بدأت تتغير بعد عدة أشهر بقرار صادم من حامد لم تتوقعه ياسمين ، هيا بنا ننسل الى بيتهما ونتعرف الى هذا الامر .

كان حامد يجلس في الصالة الواسعة وسط المنزل على الاريكة الحمراء مقابل التلفاز الضخم ومظاهر الأبهة والجلال تفرض نفسها في كل ركن من أركان المنزل التماثيل الضخمة من الولايات المتحدة واللوحات الفرنسية التي تم شراءها بألاف الدولارات والسجاد الإيراني ذو النوع الممتاز والمزهريات الصينية ذات الزخارف الفارهة كانت الصالة تنتهي بشرفه تطل على حديقة وتظهر في اطرافها خمس او ست سيارات وضعت لخدمة افراد المنزل الاقلاء ، جاءت ياسمين بكوبين من الشاي وهنا بدأ الحديث

ياسمين - احضرت لك الشاي الذي تحبه يا حبيبي

حامد - شكرا لك يا ياسمين ، اجلسي اريد ان اتحدث معك في موضوع

ياسمين - ما هو الموضوع يا حبيبي !

عدل حامد من جلسته وهو ينظر الى ياسمين وقال

-اسمعي يا ياسمين ، لقد طلب مني والدي امر وقد وعدته بتنفيذه .

- ما هو يا حبيبي؟ ...

حامد - انتي تعلمين اننا عائلة معروفة ولنا علاقات واسعة و...

قاطعته ياسمين

- من دون مقدمات قل ما تريد يا حامد ، تعرفني لا احب المقدمات والتمهيد الممل

تابع - حسنا ....

ثم اكمل - عليكي ان تتركي الجامعة .....؟

صعقت ياسمين مما سمعت وانبرت نظرة من عينييها كأنها البرق وقالت:

- لماذا !

حامد - ابي يريد حفيد ويريدك ان تتفرغي للمنزل وكل شيء يأتي إليكِ ، حتى اذا أردتِ يمكن ان يشتري لك شهادة طب ومن افضل الجامعات

ياسمين وهي لاتزال متسمرة

- لكنك وعدتني !!!

حامد - وعدتك عن نفسي ، ولكن لم اعدك عن اهلي

ياسمين - لكن اتفقنا على تأجيل موضوع الاطفال لما بعد التخرج ، انت تعرف ان لا شيء يمكن ان يمنعني عن إكمال دراستي والحصول على شهادة الطب ، لقد اخذت منك وعد ، الست رجل الا يمكن أن تلتزم بكلمتك ، قلت لي نتزوج وبعد التخرج نفكر بالإنجاب

حامد - اي تخرج ، سوف تتركين الجامعة ، هذا موضوع لا جدال فيه ، في عائلتنا لا احد يعصي أمرا لوالدي .

ياسمين _ لا يا حامد لن اقبل

ثم وقف محاولا استخدام اسلوب أكثر لطفاً ونعومة ، اقترب منها وحاول مسح شعرها وضمها ولكنها بادرته بالرفض والابتعاد ولكن رغم ذلك عاد وقال

_ حبيبتي ياسمينتي الحلوة ، فكري بالموضوع من جهة اخرى انت لن تخسري شيء وستحصلين على الشهادة التي حلمتي بها ، ما الذي يجعلكِ ترفضين .

ضحكت ساخرة وقالت

_ حامد ... انت لا تكلم طفل هل تدرك ما تقوله

اخذ شهيق طويل ممتصا غضبه وقال

_ سوف اذهب واحضر لك فنجان قهوة بلا سكر كما تحبيه وانتي فكري بالموضوع ولا تخربي حياتنا صدقيني انا لست ضدك ولكني مجبر على تنفيذ الامر

ذهب قليلا وجهز فنجان قهوة تركية من البن الفاخر ، ملئت رائح كل أرجاء المنزل ووضعه في طبق من النحاس اللامع غالي الثمن

وبجانبه قطعة حلوة وشوكة ، دخل الصالة ووضعه أمام ياسمين وقال لها

_ ماذا يا حبيبتي هل فكرتي ، وامسك الفنجان وحاول مناولته لها ، لكنها رفضت وقالت

_ أجل فكرت ، غير موافقة

تنهد واعاد الفنجان وقال

_ حسناً ، "واخفض صوته "ما رايك بأن نلعب مع عائلتي لعبه القط والفأر

ردت - وما هي اللعبة !

قال _ توقفين دوامك وتقولين انك تركتي الكلية وعند الامتحانات نقول اننا سوف نسافر في عطلة لمدة شهر وتتقدمين لها

ضحكت بسخرية وقالت _ وهل نسيت المواد العملية وان دراستنا تعتمد ب ٨٠ % من تحصيلها على المواد العملية ، لن ينفع حلك ، اذهب وافرض شخصيتك على والدك ، وقل له لا ، الا تخجل ان تكون ضعيف امام زوجتك هكذا ، الا يهمك نظرتي لك ، لما

تغيرت لم تكن هكذا أيام الجامعة و الخطوبة لم اخفيت عني ضعفك ، اسمع يا حامد لن اوافق ، فلتذهب الى الجحيم انت ووالدك ....

قطب حاجبية ورفع يده وصفعها على وجهها ورمى صينية القهوة التي أحضرها على الارض وقال

- إياكِ ان تتحدثي عن والدي بهذه الطريقة ، انتي قليلة ادب ولا تفهمين ، كما قلت لك لن تذهب الى الجامعة بعد اليوم

تجمد وجهها ولم تنطق بأي كلمة واتجهت الى غرفتها لترتمي على سريرها باكيا نائِحة نادبة لحظها العاثر ، اما حامد فقد جلس صامتا يرتشف من كاس الشاي الذي احضرته له ياسمين ...

كانت ياسمين عنيدة ، وقوية الشخصية هكذا صنع منها نوار وهكذا كان يحب ولم تكن من الفتيات العاطفيات التي تنقاد بسهولة ، ففي اليوم التالي جهزت ياسمين كتبها واقلامها ودفاترها وهمت بالخروج بينما كانت العائلة تتناول طعام الافطار ، وقف حامد وصرخ بها

- الي اين تذهبين ؟

ردت بكل برود

- الى الجامعة ....

وقف وقال بعصبية وهو ينظر الى والدة واحيانا اليها كمن يسرد درسا قد تلقنه من معلم

- لقد اخبرتك من البارحة ، لا جامعه بعد اليوم

قالت - لن اترك جامعتي مهما كانت الاسباب ، ومهما حصل

كان والد حامد رجل رزين وذو هيبة ترافقه عصاه اينما ذهب ويعتمر طربوش احمر لا يلبسه الا عليةٌ القوم ، ضرب بعصاة الارض بعد ان كان يستمع بصمت لما يدور

وقف وقال بنبرة الامر لولده

- طلقها

كانت صاعقة مزلزلة على الجميع ، الام وحامد وياسمين ، سادت لحظة من الصمت تجمد بها كل شيء وكأنك اوقفت شاشة الهاتف او التلفاز ليغدو الجميع اصنام بعد انقضاء اللحظة نظر حامد لوالده وبدأ يتأتئ وقال

- ل لكن يا ابي

ضرب الاب الارض مجددا بقوة وقال

- طلقها

ثم نظر حامد لياسمين وبان عليه التأثر

ارجوكِ يا ياسمين ، اتركي الجامعة

قالت - لن اتركها ابدا مهما حصل

وهنا نظر حامد لوالده الذي بان علية الغضب واعاد نظرة الى ياسمين ودون ابطاء قال

- ياسمين انتِ طالق .

عودة وإعتذار...

ياسمين بعد ان تطلقت، لم تجد أمامها إلا نوار ، وجدت قدميها تجرانها تلقائيا الى منزلها الذي تربت فيه وتلقت به كل وسائل الراحة والكينونة ، طرقت باب المنزل ففتح نوار لها ولم يبدو عليه التعجب ابتسم ابتسامة المنتصر وقال

- لا اتوقع انك اتيتِ الي كزيارة ، فالقطط بالعادة لا يعدن الى منزلهن الاول إلا اذا طردن من منزلهن الثاني ، لأنك كنتِ ستنسيني لو كان حامد جيد معك

ضحكت لتخفي خجلها وقالت

-هذا بيتي الوحيد ، اين سأذهب هل ترضى ان اعيش في الشارع ، بالتأكيد لا تقبل ، انت والدي وهذا بيتي وابتسمت بدلال

رد - لكنك لا تستطيع المكوث مع رجل غريب ، وانا لا استطيع ان اخالف الشرع ابدا ، تعرفينني جيدا الدين والايمان هو أهم شي في حياتي

قالت - ومن قال لك أننا سنخالف الشرع ، اذهب وأحضر الشيخ ليزوجنا من جديد .

هنا فتح نوار عينيه بفرح ممنياً النفس بموافقتها على التحول لزوجة له ككل الزوجات ولكنها باغتته برفع اصبعها واردفت

_ ولكن كل شي سيكون كما السابق ، انت والدي فقط

ولو أني لا ارى داع لهذا العقد ما دام سيبقى حبر على ورق والمسألة بالأساس قناعة ورضى وانا مقتنعة انك ابي ...

كز على اسنانه وكأنها غرزت سكين بقلبه وقال

- انا لم اخالف الشرع عن كنت شاب وتملئني الحياة رغبات وشهوة ، فكيف أخالفه وانا كهل وعجوز بنضرك

قالت - من قال انك كهل ان لازلت شاب ، الن تسمح لي بالدخول هل سأبقى على الباب

قال - نعم ستبقين ان لم تجدي حلا او ان اترك المنزل لك

قالت

- حسنا اذهب وأحضر الشيخ وليزوجنا من جديد يا ابي ....

قال - وبعد ..... قد لا استطيع ان افكر بك كالسابق

قالت بخبث وهي تدخل الى المنزل - نبقى كما كنا اب وابنته ، وانت مطيع اعرفك ستستطيع الاعتياد على الوضع الأول لا تقلق ..

قال بألم - واشهر العدة !!!

قالت - تترك البيت عدة اشهر وبعدها تعود ، اصلا انا عندي امتحانات واحتاج الى الانفراد بنفسي

قال - اضحكتني وكأنك لم تتطلقي قبل ساعات ، ألم تكوني تحبيه ، وقاتلتي لأجله !

قالت - اجل كنت احبه ، وكنت فعل ماضي ، الان انا اكرهه لقد كنت اظن انه رجل ولكنه اثبت انه تابع لوالدة كالجرو البائس وليس إلا طفل مدلل

قال - ليس وحدة الطفل المدلل

قالت - ماذا تعني !

رد متهربا من السؤال

- لا تهتمي فأنا احيانا لا أعرف ما اقول ولكن ، ماذا بشأني ، انت الان اصبحت امرأة ولم تعودي طفلة لما لا ....

قاطعته - ارجوكِ افهمني يا نوار ، لا استطيع ان اتخيل ان تكون زوجي ، منذ فتحت عيوني على الحياة كنت ابي وامام الناس كنت

ابي ، انا اسفة لا استطيع ان اتقبل فكرة اخرى لا استطيع ان اسلمك جسدي كأنثى تقدم لعشيقها كل ما يريد ، لا زلت بنظري اب حنون ينفذ كل ما يرضيني ولا يسمح لدمعتي بالخروج ابدا ارجوك لا تدمر تلك الصورة الرائعة بشهوة لا داعٍ لها

قال - وماذا عن مشاعري ، هل هي امر لا وزن له !

قالت - لا يا نوار انا اقدر مشاعرك ، واحترمها ولكني لا استطيع .

ورغم ذلك اعدك انني سأحاول ان افكر بالموضوع ولكني لا اعدك بشيء

قال لها - لا اريد شفقتك ، ولا ارضى لنفسي ان اكون موضع شفقة ، انتي نرجسية لأبعد الحدود ولكنكِ تستغلين حبي لكِ وتريد امتصاص كل طيبتي وانا عاجز امامك مستسلما لقلبي اللعين ، ولكنكِ كاذبة لو كنت تريني اب لكِ كنت قلتيها انت لم تقولي لي ابدا ، كان يجب علي في هذه اللحظة ان ابصق بوجهك واطردك من بيتي ، لكنك تدركين إني لن افعلها

قالت وهي تبتسم

- لا تضحكني ، حسنا سأقول لك يا ابي من الان فصاعدا

قال - انتي تتدللين علي وانا احس بك ...

قالت - لا ...

قال- حسنا سأغادر المنزل واعود بعد انقضاء فترة العدة وبعدها نتزوج من جديد

قالت - حسنا لا باس ، كما تريد مع ان ذلك غير ضروري .

قال لها وهو يغلق الباب

_ لو اني فكرت بعقليتك هذه منذ زمن ، وقلت ان كل شيء حدث ليس ضروري لكنتي الآن أُم لخمس او ست أطفال .

ذهب نوار ليقيم عند صديقة وزميلة بالعمل رضوان بعد أن اقنعه انه يريد تأجير البيت لعدة أشهر لكي يشتري سيارة ، وبعد أن وعدة بمنحة نصف راتبه الشهري لكي لا يكلفه عناء ومصاريف مكوثه عنده ، وخصوصا ان وضع رضوان المادي سيء وهو اب لولدين وزوجه شديدة التذمر، وفعلا انقضت الاشهر وعاد نوار وتزوج ياسمين للمرة الثانية ، فقط لأنه يحبها ولا يريد ان يخسرها ، عاد لنفس الروتين الاهتمام بطيوره الصغيرة التي كانت دائما تفقس بيوض جديدة فيرعاها نوار جيل بعد جيل ، داخل اقفاصها الجميلة اما ياسمين فقد عادت للجامعة واستطاعت تجاوز سنة جديدة في الجامعة وبدأت تتحول رويدا رويدا لطبيبة وباتت على مشارف التخرج والحصول على حلمها وشهادتها التي جعلتها تضحي بزوجها حامد الذي احبته بكل صدق .....

زواج لأجل الانتقام ...

عادت الحياة في منزل نوار الى رتابتها القديمة ، نوار يلاعب طيوره ويُدخن بشراها ، وياسمين تحصل على مصروفها منه وتتابع دراستها الجامعية ، لم يكونا يتكلمان كثيرا كما السابق ، فبعد كل ما حدث انكشفت كل الاوراق واصبح من الواضح جداً ماذا يريد كل منهما من الاخر ، نوار كشف كل مشاعره دفعة واحدة وباسمين مستمتعة بتعذيبه ولو انها لم تقصد ذلك فهي تكن له الكثير من المحبة والاحترام ولكن كأب وليس اي شي اخر هو اراد منها ان تكون زوجة وهي ارادت منه ان يكون اب ، هو اراد منها الجسد والروح وهي ارادت منه الحنان والمال ،والاهتمام هو اراد منها التحول وهي ارادت الثبات .

مضت السنين وتخرجت ياسمين من الجامعة وبدأت بالعمل في المشفى وسط المدينة ، وبقي الحال كما هو وهنا تعرفت على طبيب يدعى أمجد ، كان يكبرها بعدة سنوات وكانت تعمل في البداية كمتدربة تحت إشرافه المباشر ، ومع مرور الوقت ظهرت فتنة جمالها و اشعلت لهيب قلبه فحاول عدة مرات مصارحتها بحبه ولكنها كانت تهرب ولا تعطيه اي مجال للمحاولة ، او اكمال الطريق الى أن جاء ذلك اليوم الذي تجرأ وصارحها بكل شي .

كانا قد فرغا من تقديم جرعة كيماوي لاحد مرضى السرطان وقد كان اختصاص ياسمين الاورام السرطانية ، وعند توجههما لغرفة الاستراحة باغتها امجد بسؤال

- انا لا اعرف عنك شيء سوى انك مطلقة ، وماذا بعد!!

قالت بطريقتها المعهودة بشيء من الدلال ....

- وماذا يجب ان تعرف اكثر من ذلك ولماذا !!!

قال - لا شيء هذا يكفيني ولكنكِ تعجبيني ؟

نضرت له بدهشة وكانت المرة الاولى التي يباغتها بتلك الجرأة

قالت - انا لا اريد إلا ان اعمل ، واتفرغ لعملي ومستقبلي ، فقد كانت تجربتي مريعة

قال لها - هل كان يضربكِ!

ضحكت وقالت - يا ليته كان رجلا وضربني

قال - اذا ماذا فعل حتى طلقكِ ؟

قالت - لقد تزوجت طفل مدلل ، لا يستطيع ان يختار حتى لون جواربه بنفسه ، واهلة وبالأخص والده يتحكم بكل شيء ، وقد حاول الوقوف في طريق مستقبلي فانتهت علاقتنا قبل ان تبدأ

قال بتعجب - يا لك من مسكينة ولكن ليس كل الرجال كهذا الذي كان زوجك ، لا يجب ان تنتهي حياتك مع نهاية علاقة

قالت له بشيء من الضيق - لماذا لا نغير الموضوع سأذهب لإحضار الشاي من الخارج هل تريد ان اجلب لك كأسة معي وهمت بالخروج

فأمسك يديها بقوة ونظرت اليه بتفاجئ وتسمرت عيناهما ببعضهما لثانية وقال

- انا احبكِ ، واريد الزواج بكِ ، احبكِ لدرجة اني مستعد لانتظارك عشر اعوام لتخرجي من حالة الكآبة الزوجية التي تحيطين نفسك بها .

احمرت خدودها وسحبت يدها بقوة وخرجت لإحضار الشاي ومنذ تلك اللحظة ، اصبحت تتجنب الاجتماع به ، إلا إن كانت مضطرة لذلك ، فهي لم ترد اعادة تجربتها السابقة وكان نوار هو الاخر يشعرها بالشفقة وكانت دائما تحاول تقبل فكرة ان يكون زوجها قبل ان تقوم بقمعها كليا والغائها وعودة فكرة نوار الاب لتنتصر في النهاية ، كان هناك حرب من نوع مختلف تجري جولاتها داخل مجاهل روحها حرب النعم وال لا حرب كما موج البحر تجلبها احيانا لشاطئ البحر او حضن نوار ثم تعود للتجذيف باتجاه الاعماق لأنها لا تريد الا ان تسبح وتبتعد .

اما في البيت فقد خطرت ببال نوار فكرة جديدة في سبيل الوصول لقلب ياسمين ، حاول ان يجرب استثارة غيرتها ليرى إن كانت

تحبه وتغار علية ، ولذى فقد نسج خطة بسيطة لكي يجس نبضها ويرى إن كانت تحبه او لا .

رن هاتفه بينما هما يتناولان العشاء ، رد نوار

- أهلا حبيبتي

توقفت ياسمين عن الطعام ونظرت اليه وعينيها متسمرتان تجاهه ثم اكمل

- اجل اشتقت لكِ ، اخبري اهلك انني سأتقدم لخطبتكِ الاسبوع القادم ثم اغلق في الحقيقة كان الاتصال من صديقة في العمل وقد اتفق معه على ان يكلمه بصوت خافت وفي تلك الساعة ثم تابع طعامه بدون اكتراث

قالت له ياسمين - من هذه يا نوار !

قال - حبيبتي وهي بعمرك تقريبا او اصغر قليلا

قالت - حبيبتك ، منذ دخلت هذا البيت لم تتلقى اتصال من امرأة ، واليوم لديك حبيبة ماذا حدث للعالم هل ضربه نيزك او انفجر بركان

قال ضاحكا وقد احس بمتعة الانتصار المؤقتة

- تعرفت عليها بالصدفة واشتعل قلبي حبا بها

قالت - آها .....

قال - ولا اطيق الانتظار حتى اتزوجها

وقفت وتناولت هاتفها واتصلت بأمجد

رد - اهلا دكتورة ياسمين خيرا ان شاء الله لماذا تتصلين في هذا الوقت المتأخر

قالت - لقد قبلت الزواج بك ، تعال غدا واخطبني ثم اغلقت الخط .

وهنا كانت الصاعقة على نوار فقد انقلب الانتصار الى هزيمة منكرة ساحقة قتلت كل شعور بالفرح والاستفزاز قال لها

- من هو امجد!!!

قالت - طبيب في المشفى يحبني واحبه ولا اطيق الانتظار حتى نتزوج

قال ومنذ متى تعرفيه ؟

قالت - منذ زمن طويل واحبه لدرجة لا يمكنك تصورها

قال - انتِ تمزحين صحيح .! لقد كنت امزح هذا كان صديقي رضوان انا ليس لدي حبيبة سواكِ

قالت - لا ....اقسم اني سأتزوجه ولا يهمني ان كان من تكلم رضوان ام روضة

ثم ثار نوار كالمجنون قلب الطاولة رأس على عقب نثر الطعام والشراب في كل الصالة حطم كل شيء ، تحول الى بركان تفجر بغته ، اما ياسمين فقد خافت وبان اصفرار وجهها وبدأت ترتجف ، تقدم لها نوار وامسك شعرها وجرها بكل قوة الى غرفة النوم ، وهي كانت تصرخ وترتجف وتقول

-ما بك يا نوار ، ارجوك اهدأ ؟!

ثم وضعها في الزاوية امسك بقميصها ومزقه بكل قوه صرخت اكثر وازداد توترها ، وضعت يديها لتستر صدرها توقف فجأة وهي تبكي في زاوية الغرفة قال

- انتي ساقطة جاحدة نكرة ، استطيع ان اغتصبك الآن وأُهينكِ وامنعك من الخروج ، استطيع ان احبسك واجعلك عبده ذليلة تحت قدمي ، استطيع ان اجعلك تحملين رغم عنك ، استطيع

اذلالك لأبعد درجات الإذلال لكني لن افعل ، وسوف تندمين مجددا وسوف تعودين الي كالجرو الذي يلحق ابيه ، تبا لك ولحياتي الكئيبة معك ، لم اقل لك يوما انني والدك ولم اعاملك يوما كأب لكنك نكرة وجاحدة ، اسمعي ايتها القذرة انتي طالق طالق طالق ، لملمي ثيابك واغربي عن وجهي لا اريد ان اراكي بعد هذا اليوم وتذكري عندما ستعودين في المرة القادمة فلن افتح الباب ، فالأبواب تفتح لمرة واحدة فقط ولمن يستحقها وليس لأمثالك ....

لملمت ياسمين كل اغراضها وخرجت من المنزل ، في تلك الليلة واتصلت ب امجد وتزوجته مباشرتا دون تردد ودون اي حفلة او صخب .....

طعنة غير متوقعة ...

عاشت ياسمين حياة سعيدة مع أمجد ، فهو كان يُحبها ويحلم بالوصول لها خصوصاً بعد صدها الشديد له ، كما انه اشترى لها عيادة وسط المدينة باتت تعمل بها بعد انتهاءها من العمل في المشفى ، كان امجد يُحبها بصدق ويسعى بكل ما يملك لإرضائها ولكن حبه لها كان جسدياً أكثر منه روحي ، ف امجد كان عاشقاً لجمال ياسمين أكثر من عشقه لفكرها وعقلها وتصرفاتها ، كان طبيبا معروفا بحبه للنساء وسعيه وراء مفاتنهن اما باسمين فقد نظرت ل أمجد انه سيقدم لها ما كانت تريده من أي رجل وهو الاهتمام والحياة المستقرة هي تحب الرجل الذي يعاملها بدلال ونعومة وكأنها قطة مدللة كما كان نوار تماما .

نوار الذي لم تسمع عنه شيء منذ طردها من منزله ، ولم تفكر حتى بالسؤال عنه ، هي كما قال لا تفكر به إلا عندما تحتاجه ولعل ما حدث بينهما تلك الليلة كان له اثر بالغ على حياتها وعلى تفكيرها تجاهه ، ولكن رغم كل شيء هي لم تكره نوار يوما ولم تحقد عليه مهما فعل لأنها تعرف تمام ما بداخله .

مرت الايام وحملت ياسمين وانجبت طفلا جميلة اسمته عزام ، ثم قررت اغلاق العيادة والتفرغ لبيتها واسرتها وتحولت حياتها الى الرتابة كأي امرأة في هذا العالم تحولت الى ربة اسرة لديها خادمة تكنس وتطبخ وتغسل ، وهي فقط تنتظر قدوم زوجها عند المساء لاستقباله بأبهى صورة ، ولكن الامور فجأة بدأت بالتغير والانقلاب فقد تحول أمجد عن حب ياسمين وقلَّ اهتمامه بها بشكل واضح بل وبات يصرخ بوجهها ويترك المنزل لأيام ولم تعرف ياسمين سبب تغيره المفاجئ الا عندما فتحت ليلا هاتفة الخليوي ، وقرأت بعض رسائل الماسنجر بينه وبين فتاة وقع في حبائلها ، فقد قرأت كلمات العشق والهيام بينهما بل ان الامور تطورت بينهما الى لقاءات في المطاعم والمنتزهات ولربما بقي خطوة او اثنتين

حتى يرتبطان بشكل كامل ، جن جنون ياسمين ولم تعرف ماذا تفعل فها هو زواجها الثاني على وشك الانهيار وبطريقة اسوأ من الاول وخصوصا ان هناك طفل دخل حياتها هذه المرة ، ارتجفت وكانت تريد تحطيم الهاتف ولكنها عادت للهدوء وعادت للتفكير كطبيبة وكإنسانة مثقفة واعية وليس بعقلية المرأة الغيورة ، فقررت ان تنسج خطة لتوقع بأمجد وهو وسط متلبس بجرمه او كما يقال "بالجرم المشهود " وكانت تختلس النظر الى هاتفة كلما واتتها الفرصة الى أن علمت بترتيب موعد جديد بين امجد زوجها وتلك الفتاة الفيسبوكية ، وهنا قررت ان تذهب الى ذات المطعم وتفاجئهما ، وهذا فعلا ما حدث كانت ترتجف طوال الطريق وكادت تسمع طرقات قلبها وسرعة انفاسها وهي تستقل سيارة الاجرة الصفراء الى المقهى ، لأول مرة تحس بذلك الشعور الذي يقربك الى الانهيار عندما تستشعر خسارة كبرى في حياتك ، جلست ياسمين في ركن بعيد من المطعم بعد ان وضعت ابنها عند جارتها ، وانتظرت بصمت الى ان دخل امجد وهو يمسك بيد فتاة شقراء يد بيد ، تفاجئت بل وذهلت لأنها لم تتوقع ان تصل حالة الحب بينهما لتلك الدرجة ثم جلسا سويا واخذا يتحدثان وهما يفركان أيادي بعضهما البعض كالمراهقين ، وقفت ياسمين وهي ترتجف بتوتر وتقدمت نحوهما ببطء، الى ان احسا بها وهي تقترب من طاولتهما وهنا كان ذهول امجد الذي وقف وهو ينظر لياسمين مشدوها وقال

- انتي هنا ، ما الذي اتى بك الى هذا المكان ، هل تتجسسين عليّ

قالت - ايها الخائن ، هل كنت تظن انني لن اعرف بخيانتك لقد احسست عليك منذ بدأت بالتغير

هنا التفتت ياسمين الى الفتاة التي بقيت صامتة ، وكانت المفاجئة الكبرى والصدمة الغير متوقعة لقد كانت تعرف تلك الفتاة بشكل جيد جدا ، كان وجهها مألوفة وتقاسيمها قريبة من الذاكرة ،شقراء وعيونها ملونة بشعر ممو ج ونقط نمش واضحة على خدودها بيضاء ووجهها مدور لقد عادت بذاكرتها لسنوات طويلة ، هل تذكرون تلك الفتاة الغيورة التي تسببت بطردها من المدرسة في صغرها ، نعم انها ذاتها سارة قالت ياسمين مصعوقة

- ايتها العاهرة الشمطاء ، لقد تسببت يوما بطردي من المدرسة التي احببتها والان اتيتي لتتسببي بتدمير حياتي وبيتي

هنا تذكرت سارة كل شي وهي لم تكن تعلم ان امجد زوج ل ياسمين ابتسمت وكأنها قبضت على فريسة طال ما تمنت صيدها وقالت

- يا لها من دنيا صغيرة امجد يحبني انا ، وقد اخبرني انه يريد تطليقك لان حياته معك جحيم لا يطاق قالتها واللئم يقطر من فمها وعينيها وهنا نظرت ياسمين لزوجها لتنتظر رده فعله فاطرق صامتا وكأنه يوافق على ما قالته سارة

امسكت ياسمين الطاولة وقلبتها بكل جنون تماما كما حصل عندما قررت الزواج من امجد عندما قلب نوار الطاولة بوجهها وكأنما كتب لهذه العلاقة ان تبدأ وان تنتهي بهذا الحدث ، ثارت بموجة هستيرية وهجمت على سارة محاولة الوصول لعنقها لخنقها وهي تصرخ

-في الماضي لم اضربك جيدا ، ولكن الآن جاء وقت الضرب لكي تتربي ايتها الساقطة .

اما سارة فقد تجمدت بمكانها ولم تحاول المقاومة وكأنها تعيد طريقتها القديمة وتريد من ياسمين التورط أكثر وضربها كي تودعها السجن .

لكن امجد منعها ، وهنا صرخ بها بكل غضب

- انتي طالق طالق طالق

وكأن تلك الكلمة ضغطة زر اوقف المشهد ، تجمد كل شيء وتوقف عن الحركة ، في لحظة انبثقت بسمة خبيثة من سارة وانبثقت نظرة مرتعبة من أمجد بينما انبثق كل الالم من عيون ياسمين و نظرت بحرقة ، وبنفس الوقت نظرت بانكسار وهزيمة ل سارة ثم استجمعت اشتاتها المبعثرة المهزومة وغادرت المطعم ... .

أين نوار !!!....

عودً على بدء ، ودون تفكير حملت ياسمين صغيرها عزام ، وتوجهت الى منزل نوار ، وكأنها تعود لجحرها الآمن وهنا كانت قد قررت القبول بالزواج بنوار وقررت أن تنهي كل تلك الافكار التي كانت تدور بمخيلتها عن ابوة نوار لها ربما تكون قد ادركت معنى أن تكسب قلب يحبها بصدق ويقدم لها كل ما يملك فقط لأجل اسعادها قد تكون ادركت ان العمر والمال والصحة كلها أمور ثانوية اذا ما وجد الحب الصادق ويمكن تجاوز تلك الامور بل وإغفالها تماما عندما يوجد الحب ، هي توقعت ان يستقبلها نوار بفرح وكأنها تمنّ عليه بقبولها عرضه بعد كل هذه السنوات ، وكل تلك الطعنات هي عادت وكأنها تعود لبيت اهلها او لبيت العائلة كما يسمى ، وصلت الباب طرقت وطرقت وطرقت ، ولكن لم يكن هناك من يجيب ، سألت الجيران اللذين كانت تعرفهم بشكل سطحي ، فهذا البيت هو ذاته الذي تزوجت به نوار قبل سنوات طويلة ولم يغيره ابدا ، ولعل وجوده في بناء كبير ووسط المدينة لم يجعل الناس تدرك اكانت ياسمين زوجة أم ابنه .

دون شعور بقيت ياسمين لساعات تنتظر امام الباب وكانت تبكي بحرقة والم ، وتمسك بطفلها بتشبث والحزن يملئ عينيها وقلبها ، كانت تتمنى ان يفتح ذاك الباب فجأة ليخرج منه نوار ، فاتحة ذراعيه لها كما كان طوال حياته لكن ذلك لم يحدث ، بعد ان يئست توجهت لأحد الفنادق للحصول على غرفة لها ولطفلها وبقيت يومياً تذهب وتطرق باب البيت ولكن دون جدوى ودون مجيب ، استمرت لأشهر ولكن لا اخبار عن نوار ، كل ما علمته انه ترك المنزل ولم يعد يراه احد منذ تلك اللحظة .

بعد طلاقها تقدمت ياسمين بطلب نقلها من المشفى التي كانت تعمل به ، لكي لا تصدف امجد إطلاقا وهي لم تعد تهتم به او بأخباره منذ تلك الحادثة في المطعم ، كما انها تركت العيادة التي اشتراها

لها وبدأت للمرة الاولى في كل حياتها بالاعتماد على الذات وكانت معاناتها كبيرة لان معها عزام ، لذى كانت تتركه في مركز يهتم بالرضع ريثما تنهي عملها ، لأول مرة بدأت تعرف ما هو الطبخ ، وما هو التسوق من سوق الخضار وماهو النقل العام ، لأول مرة باتت تنظف مسكنها وتغسل اطباق الطعام بنفسها ، فقد كانت دائما تعتمد على جمالها للحصول على ما تريد.

كان الرجال يلهثون خلف ذاك الجمال ، ولكن كل ذلك لم يهمها وكل ما كان يشغل بالها هو نوار ترى اين اختفى والى اين ذهب ، هي كانت تعرفه جيدا لا يمكن له ان يعيش بعيد عن بيته او طيوره ، هو انسان محب للبيت وللحياة البسيطة داخل جدرانه ، كيف استطاع الخروج من تلك القوقعة ، لا بد انه امر جللّ .

هذه الافكار كانت تتلاطم كأمواج البحر في مخيلة ياسمين ، بالإضافة لحاله شعور كبيرة بالذنب وشعور بالندم . وبعد ان كبرت ووعت الحياة وخبرتها بلئمها وطيبها ، باتت تفهم كلمات نوار التي لطالما حاول ان يوصلها لها ، ولكن قد يكون قد فات الاوان على ذلك ، ف نوار اختفى ولا تعرف عنه شيئا وداخلها شعور قوي انه ليس بخير ، نوار لا يكون بخير بعيدا عن ياسمين ، لا يكون بخير ان لم يرها وان لم يكلمها ، وإن لم يحس بدلالها ولامبالاتها ، وتعذيبها له ، وساديتها المؤلمة ذلك التعذيب المقترن بالدلال والغنج والذي يزيده تعلقا ووجد لها .

باتت تتراقص امام ناظريها صوره منذ كانت طفلة ، الحنان الذي قابلته بالنكران والحب الذي قابلته بالرفض

كيف لي ان أُكفر عن ذنبي ؟

كانت دائما تسأل نفسها هذا السؤال

وهل سيقبل نوار عودتي ؟

واستمرت على هذه الحال ، لأشهر إضافية ، حتى انها دخلت حالة اكتئاب شديدة ، فشعورها بالذنب بات طعمه شديد المرارة مع اختفاء نوار ، فلو كان موجود ووبخها او شمت بها او حتى ضربها لكانت شعرت ببعض الراحة ، ولكنها كانت تعاني من طرف واحد ، تماما كما كان نوار يعاني لسنوات طويلة ، الذنب الذي صنعته بيديها وبعنجهيتها والذنب الذي سيقلب حياتها منذ تلك اللحظة والذي سيجعل كل شي قادم بلون اسود فاحم مليء بالفواجع والدموع والإنكسارات والهزائم .....

هاتف ينبش الذكريات.....

كانت ياسمين تشعر بتأنيب ضمير واضح مما فعلته بنوار ، والحُرقة تزداد بإختفاء الرجل ، بحثت في اقسام الشرطة ووضعت اسمه في المشافي ، حتى انها سألت صديقة لها على المعابر والمنافذ الحدودية ولكن دون جدوى او رد كانت تعلم ان ل نوار صديق وحيد هو رضوان كان صديقه بالعمل منذ كان شابا ، ذهبت الى العمل وسالت عنه لكنها علمت انه تقاعد ولا أحد يعلم عنوان منزله هم فقط يعلمون بأي حي يقطن لكن لا يعلمون بالتحديد أين وهذا صعب المهمة على ياسمين وهي تعلم أن لا احد يعلم مكان نوار الا رضوان ، وبالتأكيد لا أحد يعلم عنوان رضوان باستثناء نوار .

هذه الحالة النفسية جعلتها تهمل طفلها وتتركه دون اهتمام وخصوصا انه بعمر صغير، كانت تحس انه غلطة وشيء ما كان يجب ان يكون ، وهذا زاد من كآبتها ، في احدى الايام وبينما كانت تعاين مريض اكتشف إصابته بالسرطان حديثا وتفحص له ضغط دمه في احدى غرف المشفى الواسعة جاءت ممرضة لتقول لها

- دكتورة ياسمين ، لديك هاتف في مكتبك .

اهتز قلبها واحست بتوتر وقالت - حسنا انا قادمة .

انجزت ما تقوم به بسرعة واتجهت عبر رواق ضيق ، يفصل بين اجنحة المشفى تنبعث فيه رائحة ادوية ولو ان المعطرات ورائحة مواد التنظيف كانت واضحة ، مشت ياسمين بخطوات متناقضة تتباطئ احيانا وتتسارع احيانا اخرى ، ذلك لأنها لا تتلقى اتصالات

بالعادة ، فكرت من يمكن ان يكلمها الا شخصين زوجها امجد ، وهنا تصاب بإحباط من الفكرة فتتثاقل الخطوات او نوار ، وهنا تدخل بارقة امل في قلبها فتتسارع قليلا خطواتها ، لقد احست ان ذلك الرواق وكأنما يمتد لكيلو متر او اثنين ، احست انه لا ينتهي فكلما مشت خطوة انبثقت امامها عشر خطوات جديدة ولعل ذلك مرده الى حالة الكآبة المزرية التي تعيشها ، والتي جعلتها لا تهتم بشكلها على عكس عادتها ، فشعرها ليس مسرحا بالطريقة المعتادة وعطرها لم يعد يفوح في كل المشفى ولبسها بات عاديا جدا وغير منسق بل انها لم تعد تزيل الشعر الزائد حول حواجبها كما كل النساء ، وهذا امر لاحظة كل العاملين في المشفى ، بتلك الحالة الرثة ، تابعت خطواتها المتثاقلة باتجاه ذلك الهاتف اللعين الذي زاد من توترها ، وزاد من انقباضات قلبها ، واخيرا وبعد ان احست بمرور دهر انتهى ذلك الرواق وبان من بعيد باب مكتبها ، الذي خصصته ادارة المشفى لها ، مدت يدها لتفتحه وتدخل ، لترى الهاتف الابيض اللون والموضوع فوق طاولة مكتبها بجانب بقية مستلزمات المكتب من اوراق واقلام واختام وسماعة الاذن الخاصة بالأطباء ، وضعت سماعة الهاتف الى جانبه ، دون ان تجلس امسكت السماعة ووضعتها على اذنها وقالت بصوت متهدج يملئه التعب والارهاق وبعض الامل .

- الو

ثم سادت لحظة انتظار ، قد تكون ثانية لكنها بمقاييس الحالة النفسية ل ياسمين دامت لأشهر

لا رد .....

اعادت السؤال - الو .... من يتصل انا الدكتورة ياسمين

....

للأسف ، قد يكون المتصل ملّ الانتظار ، او ان الخط الهاتفي قد انقطع

زاد الاحباط ، وبكل حزن اخرجت زفير طويل مليئة بالحزن واستلقت على كرسي مكتبها وكل آلم الكون يملئها ، اعادت رأسها الى الخلف واغلقت عينيها الذابلتين ، لتتذكر نوار تناثرت امامها شظايا ذكريات ليلتها الاولى مع نوار ، عندما كانت طفلة تذكرت زوجه والدها وكيف كانت تضربها بعنف ، وتذكرت صفاء خالة نوار ، عندما جاءت لطلب يدها من زوجة ابيها التي كانت تريد التخلص منها لتحصل على منزل والدها المتوفى وتطردها منه ، تذكرت كيف كان مستوى الحوار بين صفاء خالة نوار وبين خالتها زوجة ابيها ، والذي لم تكن تفهمه آن ذاك عندما قالت صفاء لزوجة ابيها

- هل الفتاة بالغة ، ام انها لم تبلغ بعد !

ردت الخالة - اجل بلغت منذ شهرين او ثلاثة ، واذا اردتِ ادخلي معها الحمام وتأكدي

ضحكت صفاء وكأنها تشتري قطعة ثياب او لعبة

- وكيف سأعرف ان كانت بالغة بالحمام ، هل جننتي يا مريم ؟!

الخالة - لم اقصد هذا ، قصدت ان تدخلي وتتفحصيها ،صحيح ان جسدها صغير وتبدو اصغر من عمرها ولكن جسدها مكتمل ، وتستطيع الزواج والانجاب ايضا ...

وبينما كانت ياسمين تتذكر ، ذلك المشهد المرعب انسلت دمعة حارقة من عينيها تبعه عصر لعينها نتيجة محاولتها اغماضهما بقوة ، علّ المشهد يهرب من مخيلتها ...

وفعلا هرب ذلك المشهد ، ليبدأ مشهد اخر تذكرت عندما حملت لعبتها ، البيضاء وكيف انقلبت خالتها فجأة لكائن طيب عندما ، جاءتها بفستان ابيض وقالت لها

- يا حبيبتي ياسمين ، اليوم احضرت لك هدية هذا الفستان الجميل ، اسمعيني جيدا سوف تغادرين هذا المنزل وسوف تعيشين في مكان اخر جميل ، فقط نفذي الاوامر ، وكل شي يطلب منك قولي حاضر ..

وقتها نظرت ياسمين بعيني خالتها مريم ، وقالت

- اريد لعبتي يا خالتي ، هل استطيع اخذها معي

وهنا عادت مريم ، لطبيعتها الحيوانية وصفعتها على وجهها لتصرخ بعنف

- اي لعبة يا ملعونة ، وماذا تريدين من لعبتك الغبية

بكت ياسمين وتألمت وعندما احست مريم ، ان موضوع اللعبة قد يفشل خططها تنازلت واحضرت اللعبة ل ياسمين وقالت لها

- خذي هذه لعبتك سأعطيكِ اياها بشرط .

ردت ياسمين - ما هو !!!

ردت - الان سوف يأتي شيخ بذقن طويل وسوف يقول لك هل تقبلين الزواج من نوار

هزت ياسمين رأسها وكان كل تركيزها على لعبتها بينما تابعت مريم

- قولي اوافق ... فقط قولي اوافق

ردت - من هو نوار يا خالتي !

قالت - انه زوجك يا حمقاء

ردت - ماذا يعني زوجي ، هل هو قريب ابي او امي .

ردت - اخرسي الان والبسي فستانك.....

هزت ياسمين راسها ،كي تطرد تلك اللحظة من مخيلتها ايضا وقد بدا الضيق عليها اكثر ، ولكن بسرعة دلفت ذكرى اخرى أمامها وهي عندما ادخلوها غرفة النوم ذات الضوء الخافت وعليها ذلك السرير الكبير .

تذكرت كيف كانت تنظر للباب العالي ، الذي يُدخل بعض الانوار من قعره ، عندما فتح فجأة ودخل منه ذلك الرجل الطويل ببدلته السوداء ، والذي جعل ياسمين تشد بيديها على دميتها التي لم تكن تملك صديق غيره وكأنها تستجير بها من الخطر القادم ، ثم تذكرت طيبه واخلاق نوار ، الذي مسح على رأسها بيدية مستذكرا قول الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم

" وأما اليتيم فلا تقهر " صدق الله العظيم

وهنا انفجر الدمع بعينيها وكأنما فاض الاناء ، وانكبت تبكي على طرف طاولة مكتبها ، حرقة والم ....

الى ان رن الهاتف من جديد .....

نوار يحتضر...

رن الهاتف فرفعت ياسمين السماعة بسرعة البرق ، قال صوت عميق

- مرحبا هل انتي الدكتورة ياسمين ؟

اجابت بإضطراب ، وكأنها تستعد لتلقي خبر يفجعها أجل.....

اردف قائلا - انا الدكتور رجب من قسم الامراض السرطانية والاورام الخبيثة في الريف

قالت - تفضل ، كيف يمكن ان اساعدك!

قال - لدينا مريض يدعى نوار نامق ، قيل لي انك وضعتي اسمه في المشفى قبل عدة اسابيع ، هو لم يكن عندنا جاؤوا به منذ ايام فقط ، قد تكون حالته خطيرة جدا لأنه لم يتلقى العلاج منذ اصابه المرض ، وهو في مرحلة متقدمة آلان ، هل تعرفيه ؟

فجأة سقطت السماعة من يد ياسمين ، وكأن كل شي ظهر واتضح بعد طول انتظار ، بعد أشهر من المعاناة والضياع ها هو نوار يظهر وأي ظهور ، لقد كان مريضا ويقضي أيامه الاخيرة بالمشفى ، استجمعت بعض قوتها ثم اعادت السماعة بقرب اذنها لتقول

- دكتور ، ارجوك اعتني به ، انا في طريقي الى المشفى

ثم انطلقت دون وعي الى المشفى الذي يقع في الريف على بعد عشر كيلومترات عن المدينة ، هي كانت تعرفه جيدا لأنه مشفى للأورام السرطانية اختصاصها العلمي المباشر ، ودون ان تحصل على إذن للمغادرة ،اتجهت الى نوار والالم المختلط بالندم الشديد يطحن قلبها ، عندما وصلت المشفى سألت على اسم نوار فأرشدوها ، الى رقم غرفته ، كان بقسم العناية المشددة ، كان اشبه ما يكون بغيبوبة ، فهو يصحو لدقائق ويغفو لساعات واحيانا لأيام ، كان نوار يحتظر ، كان يموت بصمت .

دخلت ياسمين حجرة ، العناية المشددة ،لترى نوار مستلقٍ كما الاموات على سرير ابيض ، وقد بان الاعياء والاصفرار على وجهه ، وكل تلك الخراطيم الطبية تدخل وتخرج من جسده ، نظرت ياسمين من باب الحجرة اليه ، والدمع يقطر من عينيها ، وحاولت الاقتراب ببطئ ، تريد ان تقنع نفسها انه ليس نوار ، بدى شكله مفزعا ، لم يكن ذاته نوار الذي تعرفة ، ذو الوجه المشرق الوضاء ، نوار والدها وحبيبها وزوجها ، نوار الذي احبها كما لم يحب رجل امرأة ، نوار الذي تحمل كل شيء لأجلها ، والذي افنى حياته في سبيل سعادتها ، نوار الذي وجد نفسه فجأة على سرير ابيض وحيدا شريدا في عالم واسع احس به بالغربة والوحدة منذ ولد ، اقتربت منه ياسمين ونظرت اليه كما لم تنظر قبلا ، مدت اصابعها بحنان ، لتلاعب وجنته المصفرة ، مررت اصابعها على انفه وشفتيه ثم مررتها بحركة دورانية على عينيه ، كانت تنظر له لأول مرة كحبيب اشتاقت له ، كانت تداعب وجهه المتعب ، كما تداعب العاشقة وجه عشيقها ، للمرة الاولى ترى ياسمين نوار كرجل معشوق ، وليس كأب حنون ، تذكرت كلماته في أخر لقاء جمعها به قبل سنتين او أكثر ، عندما قال لها

- عندما ستعودين نادمة ، سوف لن تجديني ، وستندمين ساعة لا ينفعك ندم

وعندها انفجرت بالبكاء وانكبت على صدره ، تضع رأسها علها تحس بنبضات قلبه المتعبة في ساعاتها الاخيرة ....

كان كل ما تتمناه في تلك اللحظة ، ان يصحوا نوار وان تنظر بعينه وتقول له

- سامحني ، على كل ما فعلته بك ، سامحني فقط ، وسوف اكون خادمة لك طوال عمري يا حبيبي

لكن نوار في غيبوبة ، والمرض ينهش لحمة وعظامة كما تنهش الضواري فرأسها وتمزق اجسادها فقد سالت الطبيب المسؤول عن حالته واضطلعت على الاوراق التي توضح حالته بالتفصيل ، لقد كان مصاب بنوع اللوكيميا او سرطان الدم وهو من أخطر أنواع السرطانات وأكثرها فتكة بالبشر وحالته كانت متقدمة بحيث ان العلاج الكيميائي لم يعد يجدي معه فلربما لا يستطيع جسده تحمله ، مع اصابته المتكررة بالإغماءات الطويلة والغيبوبة ، رمت ياسمين كل تلك الاوراق ومنذ تلك اللحظة لم تعد تفكر كطبيبة ولم تعد لقراءة حرف من كل تلك الاوراق التي تمثل الملف الطبي لنوار لآهل ادركت ان الوصع خطير جدا ، لذى فقد تحولت الى الدعاء والامل بحدوث معجزة تنقذ حياته المهددة .....

قلب ممزق...

مرت أيام وياسمين تلازم المشفى ، كانت تنام وتصحو ولا تدري ليلها من نهارها ، كانت تنظر طوال الوقت من خلال تلك النافذة الصغيرة اعلى باب العناية المشددة ، النافذة التي ترى من خلالها سرير نوار ، كانت تطل من النافذة كل يوم عشرات المرات وتحاول ان تمني النفس بأن يستفيق ، لكنه لم يكن يتحرك ، كانت فقط تراقب الممرضات وهنّ يقلبنه ذات اليمين احيانا ، وذات الشمال احيانا أخرى ، لكي ينتقل الدم بين جنبات جسده المنهك ، لم تأكل وبدى الإعياء يظهر بوضوح على معالم وجهها ، كانت تستفيق لتركض الى النافذة بحثاً عن معجزة ، ثم تعود كسيرا حزينا الى ذاك الكرسي الذي نامت عليه لأيام خارج غرفة العناية المشددة لتغط بغفوة لا تحرمها من اعياءها ولو قليلا ، كانت تتساءل ترى من أين جاء كل هذا الحب الرهيب والجارف لنوار ، وهي التي لطالما لعبت دور المدللة الناعمة التي لا تحمل اي مسؤولية ، كيف انقلبت فجأة الى انثى عاشقة بحق كيف تحول صمتها امام عينيه المغمضتين الى حكايات تبث شوقها الكبير ، كيف تحولت عيناها الى نبع لا يسقى إلا من عيون حبيبها وكأنما يقول لها من على ذاك السرير البارد المعتم ألا ترتوي من بعدي ابدا ! فترد كلما ارتشفت لأرتوي ازداد بك ضمأً أيُ دفءٍ ذاكَ الذي يحملُه حضورك، وأيُ ترنيمة فرحٍ تلكَ التي تُرددها الجوارح بـِ قُربكْ.!

أنت نبضٌ ينتشي لهُ الخاطر طربا....

احبك .....

كما لو انني نجمة سقطت في راحة يدك ..وسجنت نفسها هناك ..سعيدة انا بذلك ..

كانت تصرخ وتئن بصمت سكوتها وتناجي جثته التي لم يكتمل موتها بعد ارفع يديك عن عاداتي البريئة واشيائي الطفولية ..عن قلمي الذي اكتب به واوراقي التي اخط عليها خربشاتي ودميتي وقهوتي التي احتسيها .وزجاجات عطري ومكحلتي ..

ارفع يديك عن كل اشيائي ، فليس من المعقول ان اكتب بأصابعكِ واتنفس برئتيك واضحك بشفتيك وانت تبكي عيوني .....

فجأة كأنما انتفضت واستفاقت من غفوتها من على ذاك الكرسي البارد لتهرع كالمجنون داخل حجرة نوار وتستلقي على صدره وهي تصرخ

أترك نفسي تسكن بين ذراعيك

دعني اتنفس حلاوة انفاسك

أقسم أنك تسكن ضلوعي وقلبي

أقسم أني لا استطيع الانتهاء وبقي الكثير

من جنون عشقي لك

واني لا أهب هذا العشق وهذه

المشاعر والأحاسيس الصادقة والوفاء الا لك

احبك وما زلت اعيش

لأجلك أنت يااااا عاشقي.....

اعرف بأن صوتي يصلك وان لم اتكلم ..

اعرف بان شعوري نحوك ينساب اليك رغما عنك .

اعرف ان هناك شيئا ما بداخلي يصرخ وقلبك يرد

..

فانت لن تنساني وانا لن انساك ... ثم تشبثت به أكثر وهي تناجيه

ايقونتي انت ....كيف لي ان اجتاز مراحل عشقك دون ان اعلن للعالم جنوني بك ...كيف لي ان ابتعد عنك ...وانا منك واليك ...ايها المتدفق من روحي ((((احبك))))و واعتذر.... انت الذي يجري في وريدي شوقا ..وانا المتعلقة بك منذ تناسلت الحروف وانجبت كلمات العشق التي اهديها اليك سامحني .فانت الحياة فيني وانا الميتة دونك .....

قبل ان تهرع الممرضات لإخراجها من غرفة نوار ، كانت حاله هستيرية رهيبة بين الندم والعشق والخوف والتمني والامل والرهاب ، فيال قلوب المحبين كم تكون قاسية عندما تعلن العصيان وكم تبدو ضعيفة واهنة عندما تنتهي الحرب بالاستسلام .

ها هو الطبيب المسؤول عن حالته يأتي لتفقد وضعه كما كل يوم ، تركض اليه ياسمين لتحس بلوعه اهالي من كانوا على مر سنين يسألونها عن حاله احبابهم ، تقول له وكأنها لم تدرس الطب وكأنها لم تضطلع على اوراق الملف الطبي لنوار وكأنها لم تدرس في قسم الاورام السرطانية وتعلم تماما ما سيحدث لنوار .

- هل سيعيش ، هل هناك علاج ، هل سيستفيق ارجوك اريده ان يستفيق للحظة واحدة فقط قبل ان يموت ، ارجوك لا اريده ان

يموت قبل ان اخبره اني احبه واني نادمة ، اريد ان ارى عينيه ولو لمره واحدة

نظر اليها الطبيب وكآنما ملّ من ذات السؤال الذي تسأله له كل يوم لمرات ومرات

- ايتها الطبيبة ياسمين ، ان الاعمار بيد الخالق عز وجل ، ان المريض نوار تقريبا في حالة موت سريري ، وهو لم يعد يستجب للعلاج ابدا ، ولكن كل شيء بيد الله قد يستفيق بأي لحظة ، اجعلي املك بالله كبير وانتي طبيبة وتعرفين ما اقول جيدا ثم ربت على كتفها وبادرها ببسمة خفيفة وهم بالدخول الى الحجرة لكنها وقبل ان يتحرك امسكت يديه وقبلتهما بهستيرية والدمع يملئ وجهها والاعياء يفتك بملامحها وهي تقول

- ارجوك انت لا تفهم ، هو لا يجب ان يموت اريد ان اكفر عن ذنبي ، ارجوك اجعله يصحو ولو لثانية واحدة فقط ثانية ....

تنهد الطبيب بحزن وقال

- ايتها الطبيبة ، نوار لم يمت..... نوار في غيبوبة وبإذن الله سيصحو قريبا ثم اعاد تلك الابتسامة الناعمة ودخل الحجرة مبتعدا عنها ، ليتركها لهواجسها واحلامها الممزقة .....

إختلاجات.....

مضى شهر ولا زال نوار غارقاً بنومه العميق ، غيبوبة اخرجته من الحياة الى عالم اخر يشبه النوم ، يحتمل ان يستفيق ويحتمل العكس ، والمسكينة ياسمين ، تجلس وتنتظر لم ترى طفلها الصغير عزام خلال هذا الشهر إلا عدة مرات ، كانت تدفع لدار العناية بالأطفال لكي يعتنوا به، لم تكن متهيئة لتكون ام ولم تحب يوما هذا الموقع ، بل كانت عكس ذلك تتمتع بدور من يحيط بها الاهتمام والعناية ، كانت امرأة قوية ولكن بظهر وسند حقيقي كان خلفها.

هو نوار لكان سرعان ما تعرت من قوتها عندما إنهار ذلك الجدار المنيع خلف ظهرها ، ذات مرة قرأت عبارة في إحدى الروايات الرومنسية العتيقة وجعلت منها شعار لها "المرأة القوية هي التي يقال عنها كانت .....فأرادت ....فأصبحت وحققت ما تريد ..."

ولكنها في الواقع لم تنفذ من تلك العبارة اي شيء فهي لم تحقق اي شيء يستحق الذكر علاقتين زوجيتين فاشلتين وطفل مهمل ، وحبيب محطم مات بسببها مرتين....

مات بقلبه الذي اكتوى بنار حبه لها مرة ، ومات بجسده الذي دب به المرض دبيب النمل مرة اخرى.

فجأة وبينما كانت تحملق بصفحة وجه نوار وكأنما تراءى لها صوته يقول لها

- لماذا فعلتي بي كل هذا !!!

تبسمت وكأنها تكلم ذاتها ، وقالت

- لقد اعتبرتك جزء من المؤامرة التي حيكت ضدي ، من زوجة والدي وخالتك ، لقد سُرقت من طفولتي الى فراش الزوجية ، وانا طفلة لا زالت تتمسك بلعبتها ،

لا ادري يا حبيبي لما فعلت معك كل ما فعلت ، انما هو ذلك القلب الاحمق الذي لم ينبض يوما إلا لك ولكنه متآخرة اخبرني بذلك ، تتزاحم الحروف والكلمات على نافذة ذاكرتي لتختار مفردات تليق بمشاعري ، هو جنون او ضياع هو خضوع او انصياع ، هو تملق او رياء هو استسلام ورفع لكل الرايات البيضاء .

أدركت متآخرة يا نوارة قلبي ونور عيني ، ليس كل جميل طيب القلب ولكن كل طيب القلب جميل فأقسمت ألا اخسرك ، من الصعب أن تخسر قلباً يخاف عليك فـ هناك قلوب لا تعوض وقلبك يا حبيبي ويا ابي ويا اخي ويا كل احلامي قلبك لا يعوض ابدا ....

بينما كانت ياسمين تناجي نوار كالمجنونة التي تقف تكلم قبرا لا ينطق تهامست تلك الممرضة الممتلئة الارداف والمنفوخة الجسد مع زميلتها التي تعاكسها في شكل جسمها فهي طويلة نحيلة كالنعامة التي لا يلفتك إلا ساقاها الطويلتان ، قالت السمينة

- يقولون انها ابنته

تضحك الاخرى وتقول

_ لا يا حمقاء هي زوجته انا سألت الطبيب وأخبرني ...

بتعجب ترد السمينة

- انه يكبرها بسنين ، كيف تزوجته وكيف لهكذا زواج أن يخلق هذه الحالة من الحب ، بالعادة عندما تتزوج الفتاة الشابة من رجل عجوز يكون الدافع هو المال ، وتنتظر تلك الشابة اللحظة التي سيموت بها زوجها لترث كل تركته وتتمتع بحياتها مع شاب يماثلها الحيوية والنشاط ...

تقول الاخرى - لله في خلقه شؤون ، ومن الحب ما قتل ، انها لا تنام الليل انظري كيف اصبحت كالمومياء من شدة التعب ، طوال فترة عملي في هذا المشفى لم ارى مثل هكذا حالة ، انها حتى لم تبدل ملابسها منذ اسابيع ، لا تمل الكلام معه وكأنه يسمعها ، احيانا أعتقد أنها مجنونة ..

تقول السمينة - ليست مجنونة ، هي تحبه والحب اعمى من دون عيون

إن اجمل العلاقات واصدقها ....

علاقة لا سبب لها ولا حاجة بعدها ..ولا مصلحة متوقعة منها ، وهذه الشابة تحب هذا العجوز

ثم دلفن داخل الغرفة لإعطاء نوار جرعة دواء جديده تبقية على قيد الانفاس .....

نوار يستفيق...

في صباح يوم جديد ، وبينما كانت ياسمين نائمة على الكرسي امام غرفة العناية المشددة ، هرعت الممرضة السمينة من داخل الحجرة وكأن شيء حدث بداخلها فاستدعى خروجها لجلب الطبيب ، وكان نوم ياسمين خفيف تصحو على دبيب النمل كما يقال ، أسرعت خلف الممرضة وقالت لها

_ما الامر لما تركضين لقد حاولت الدخول ووجدت الباب مقفل لحجرة العناية

ردت_ انه المريض لقد استفاق

توقفت ياسمين فجأة وتباعدت الممرضة بخطواتها المتثاقلة عنها وبدت مشدوهة الحس وكأنها صنم ، بملامح متحجرة ثم اسرعت نحو حجرة العناية لتنظر من خلال النافذة وتحاول الدخول لكن الباب كان مغلق من الداخل ، رأت من خلال تلك الكوه الضيقة الممرضة النحيلة تقف فوق سرير نوار وتعمل على مراقبة أجهزة قياس القلب والنبضات وهو بدا ساكنً دون حراك ، طرقت الباب كثيراً لكنهم لم يفتحوا لها ، ثم جاء الطبيب ودخل الغرفة هو والممرضة الممتلئة وحاولت عبثاً الولوج لكنهم رفضوا ولكن الطبيب وعدها بالسماح لها بالدخول بعد ان يعاين نوار ، بقي الطبيب ساعة كاملة الغرفة وبقيت ياسمين تنظر بقلق من الكوه ، كل ما كانت تشاهده جلبه وحركة حول السرير رأت الطبيب يشبك اسلاك جديدة ، على صدر نوار ورأته يقيس ضغطة ويفتح عينيه وينظر اليهما فأيقنت انه استفاق من غيبوبته ثم رأت الممرضتين يقمن بتدليك بعض اطراف نوار ربما لكي يهيئنه للحركة ، بعد ذلك خرج الطبيب وتوجهت ياسمين اليه بالسؤال

- هل استطيع رؤيته آلان

الطبيب رد

- لا يا دكتورة ياسمين ، انه بحالة اعياء ولا يفهم ما يدور حوله

تابعت - ارجوك لن اتكلم بأي شيء ولا نصف حرف دعيني ادخل

قال لها

- انه بالكاد فتح عينيه ، لا نريد اي انفعال قد يؤدي لتسارع في نبضات قلبه ، أرجوكِ ان كنتِ تهتمين به ، فدعيه قليلا ريثما يتجرع جسده بعض شهقات الحياة

أومئت ياسمين برأسها موافقة ، لأنها كانت تدرك ما قاله الطبيب ، وأن مشاهدتها لها قد تؤذي صحته أكثر ، لكنها كانت تخشى أن تعود له الغيبوبة من جديد ، فلبثت ترقب من الكوه لساعات وساعات ثم خرج الطبيب محذرا الممرضتين من إدخال ياسمين ثم خرجت بعد ذلك الممرضة السمينة فهرولت لها ياسمين تتوسل أن تسمح لها بالدخول ولو لثواني ولكنها رفضت بشدة قبل ان تدس لها بعض النقود في جيبها ف أومئت لها بالقبول تلك الممرضة كانت تحب إلقاء الحكم فهمست بإذنها بعض الكلمات قبل ان تسمح لها بالولوج الى الداخل لدقائق قالت لها

—

عندما تصيبكِ مشكلة تذكري ثلاث:

انها مؤقتة وانها مقدرة و انها تهديكِ اجرا عظيما اذا صبرتي

هزت لها ياسمين رأسها ودخلت بعد أن وعدتها ألا تطيل المكوث ، اقتربت ياسمين بحذر من سرير نوار ، كان ينظر باتجاه معاكس لجهة ياسمين ، كان يفتح عينيه نصف فتحة متثاقلة ، اقتربت أكثر

وبدا كأنه لا يسمع شيء ، وقفت والدموع تنهمر من عيونها كالمطر قالت له بصوت اجش ،،،، نوار

هنا وعند سماعة لصوتها فتح عينيه بشكل واضح واستدار رغم الإعياء ، نظر لها واخذ نفساً طويلا ثم اتبعه بزفير متهدج ، كانت الصورة فيها غباش ولكنها رويداً رويداً بدت اوضح عندما عرفها ، بدأ قلبه بالهياج وتسارعت ضرباته وبدأ تنفسه يتسارع ومؤشر جهاز قياس دقات القلب بدأ بإصدار طنين غير اعتيادي هي حاولت الاقتراب لكنه صرخ ب أنين غير مفهوم وزاد من ذلك الانين مع زيادة اقترابها منه هنا تدخلت الممرضة النحيلة وقالت بسرعة

- أرجوكِ اخرجي بسرعة ، اصبح وضع المريض سيء

قالت ياسمين - لكن اريد .....

قبل ان تقاطعها الممرضة وتجبرها على الخروج وخصوصا ان نوار بدأ بالتحرك وهز السرير بطريقة اكثر هستيرية ،

بينما كانت الممرضة تدفعها للخارج صرخت ياسمين وهذا كل ما ارادت قوله وإيصاله لنوار صرخت ،

اسفة سامحني يا نوار ....

بعدها اغلق باب الغرفة وجاء الطبيب والممرضة الاخرى لتهدئة نوار ، غضب الطبيب ووبخ المرضتين اللتين تمتمتا ببعض

الكلمات بعد ان عاد نوار لحالته وبدأ الهياج يخف ويهدأ بفعل الحقنة المسكنة التي اعطاه إياها الطبيب

اقتربت الممرضة النحيلة من زميلتها وقالت

- لماذا سمحتي لها بالدخول ايتها المعتوهة ، آلان سيتم معاقبتي معك

ردت - تباً للمال ، انه يجبرك على اشياء لا تريدها

نظرت لها الاخرى بطرف عينها وقالت

- اه لو ترين ما حصل له عندما سمع صوتها ، يبدو انه يكرهها

قالت السمينة بثقة - بالعكس ، هو يحبها ، هي زوجته الان انا متأكدة انه لظى الحب ، هو يحبها وهي تحبه ايضا لكن الحب عندما يأتي متاخراً فانه يصبح كالمطر الذي يأتي بعد ذبول الزرع وموته

ردت الاخرى - اي مطر وأي زرع اعطني نصف ما اعطتكِ يا شريكتي الغالية

ثم ابتسمتا بخبث البسطاء قبل ان يخرج الجميع ويتركوا نوار يغط بنوم عميق . .....

قبلة العمر...

ياسمين بقيت في حالة استنفار ولم يغمض لها حفن في تلك الليلة ، كلما انقضت خمس دقائق كانت تتلصص من النافذة الصغيرة على باب العناية لكي تتأكد اذا ما كان نوار قد استفاق ، كانت كعادتها عنيدة واذا ما ارادت شيء لا بد لها من تنفيذه بأي وسيلة وبأي طريقة ، بقي نوار نائمة بفعل الحقن المخدرة التي أعطاه إياها الطبيب كي يخفف من حالة الهياج التي ظهرت عليه بعد سماعه لصوت ياسمين ، كانت ياسمين تريد ان تدخل وتكلم نوار هي تنتظر تلك اللحظة منذ أشهر طويلة ، كانت تخاف ان يموت على ذاك السرير البارد قبل ان يسمعها ، هي ايقنت بقرارة نفسها انه في النهاية سيموت وخصوصا انها طبيبة واضطلعت على كل تقارير حالته لكنها ارادت ان يسامحها ، او ان تسكب في اذنيه ما كان يخالجها من مشاعر خلال كل تلك الاشهر الطويلة التي ادركت بها فداحة خطأها بمعاملتها القاسية لقلب احبها كقلب نوار ، كانت تعلم ان مفعول المخدر سيزول عند الفجر ، راقبت الممرضتان وهما يتبادلان نوبات المراقبة ، وفي لحظة ما استطاعت اقتناصها ، تسللت ياسمين الى غرفة العناية المشددة واغلقت الباب خلفها بإحكام ، دخلت من جديد الى تلك الحجرة التي حفظت كل اجزائها وكل تفاصيلها حتى اكثر من كل الغرف التي مرت عليها طيلة حياتها ، السرير وسطها والكرسي بجانب السرير واجهزة القلب وقياس الضغط والخراطيم الطبية التي تدخل وتخرج من جسد نوار ، الستائر البيضاء واجهزة التكييف ، جلست على الكرسي الذي كانت تجلس عليه الممرضة البدينة والتي ملت المكوث عليه فخرجت تبحث عن ثرثرتها المحببة مع صديقتها النحيلة ، امالت راسها وهي تجلس على الكرسي وتضع يديها الاثنتين على فخديها ، امالت رأسها وكأن عينيها حوامة تعدل من تحليقها لتجد افضل مكان للهبوط ، اخذت نفساً طويلا اتبعته بزفير بطيء وهي تتفرس

وجه نوار ، ثم رفعت يديها اليمنى لتتلمس راسه وذقنه ، وما ان اقتربت يديها من انفه حتى اشتم نوار راحتهما المميزة ففتح عينيه ليجدها أمامه ، ياسمين المرأة الناضجة يا سمين المرأة الفولاذية ذات الشخصية المتقدة ، وليست ياسمين الطفلة اليتيمة الضعيفة التي تحولت بسرعة الى الطفلة المدللة الناعمة ، اهتاج قليلا وبدا كأنه سيصرخ وهو يفتح عينيه بكل اتساعهما ولكن ياسمين الساحرة بادرته بحركة سريعة وخبيثة .

وضعت اصابعها الثلاثة على فم نوار وقالت بهمس ارجوك اسمعني

لكنه قاومها واراد ان يصرخ وينادي اخرجوها ولكنها اسرعت الى شفتيه لتطبع قبلتها الاولى ولربما ستكون الاخيرة على فمه ، فكانت اكثر تأثير من كل حقن البنج والتخدير التي اعطيت لنوار طوال حياته ، للمرة الاولى يرى عيناها على بعد سنتمترين من عينية ، للمرة الاولى يشم راحة انفاسها الخارجة من انفها ، للمرة الاولى يشعر انها انثى وعاشقة ملتهبة المشاعر وليس طفلة ، كانت تلك اللحظة هي اسعد لحظة في كل حياة نوار اللحظة الفارقة التي طالما انتظرها والتي كان يريد ان تأتي بغير هذا المكان والزمان .

كانت مدتها الحقيقية ثانية او اثنتين ولكن مدتها الروحية قد تزيد عن ساعة او اثنتين تلاطمت المشاعر والاحاسيس والافكار بعقلة المتعب ياسمين تقبلني ، ياسمين هي اخر من اشاهد وانا اصارع الموت يا سمين موجودة وتبكي بجواري .

هي لم تكن قبلة الحياة كما يحدث في القصص الخيالية وهي لن تشفيه من اسقامه وأمراضه ولكنها بالمعنى الروحي القبلة العمر او قبلة العمر التي تختصر كل حياة هذين الشخصين ، استطاعت ان تهدئ من انفعالاته واستطاعت ان تجعله ساكنا مستسلما دون حراك

استطاعت بحركة واحدة دون ان تنطق بنصف كلمة ان تصرعه كالفريسة المستسلمة لمفترسها .

هي الانثى يا اصدقائي ذلك المخلوق الضعيف بالعضلات والشدة ولكنه يمتلك اسلحة من نوع اخر اسلحة اكثر فتكا من العضلات اسلحة يصنعها من الرقة والعذوبة والدلال ، و يال تلك اللحظة التي ابعدت فيها ياسمين شفتيها عن شفتي نوار وكأنها طائرة تغادر ارض الوطن وتلك الدمعة الحارقة التي اسقطتها على خدي نوار قبل ان تعود الى كرسيها وتكفكف دمعها بيديها ذات اليمين وذات الشمال ، وكأن كل شيء انتهى في تلك اللحظة نوار الممدد على سرير ابيض يصارع الموت ينتظر لحظاته الاخيرة ، وياسمين تجلس الى جاره لا تتكلم ولا تنطق باي كلمة وكأنما هربت الكلمات من شفاهها واستبدلت بتلك الدموع الغزيرة التي تحفر خدها من الاعلى الى الاسفل كالأخدود في صحراء مقفرة ، ترى ماذا ستقول له ، وماذا سيقول هو لها ، هل سيغفر لها ما اذنبت بحقة وهل ستتضرع له ليغفر لها ، نوار وياسمين حكاية من زمان الخيال والتناقض حكاية لا تعرف الا الدموع والوجد و الانتظار ، ياسمين تعرف انها مهما قالت ومهما بكت فإنها لن تصلح شيئا ولكن تكفر عن ربع ربع ذنبها ، ولن تعيد شيء الى ما كان عليه وهذا ما كان يحز بقلبها ويقتل قلبها ، ونوار ايضا ما كان يهتم بما سيسمع لأنه لن يغير شيء فكما كان يقول دوما الشيء الذي ينكسر قد يصلح ولكنه ابدا لا يعود كما كان ، فلننتظر للفصل القادم ونستمع لما سيدور بينهما من حديث قد يكون الاهم في علاقتهما كلها ، حديث التصارح والتصافي والتصارع بين جبلين ولكن بصورة ادمية ، فليست الجبال فقط من جماد فقد تكون الجبال أيضا بشر .....

عتب ولكن....

نظر اليها نظرة خاطفة ثم اشاح بوجهه بعيداً وقال

_ لا اريد أن اسامحك

بعد ان كفكفت بعض دمعها قالت

_ نوار يا حبيب القلب ، اعلم اني سفينتي وصلت الى موانئك متأخرة ، واعلم اني استحق ان اضرب بالحذاء كم كنت غبية وتعيسة ، عندما اضعت قلبا احبني من الداخل ومن الخارج وركضت خلف قلوب احبتني من الخارج فقط ، أعلم ان كل كلمات الاعتذار لن تجدي نفعا ، واعلم انني لو بكيت لأخر العمر لن ينفني شيئا ،أتذكر عندما قلت لي اني سآتيك نادمة ساعة لن ينفع الندم ، لكن ارجوك فقط سامحني ، قل لي اني سامحتك ارجوك لا تمتني قهراً والم .

اخذ نوار جرعة كبيرة نوعا ما من الهواء وقال

_ طيوري الصغيرة ، هل سالت صديقي رضوان عنها ، لقد تركتها عنده عندما اخذوني للمشفى ، ومنذ تلك اللحظة لم اعرف عنها أي شي .

قالت - حاضر يا حبي ويا نور عيني سأحضر كل طيورك لك ، ما دام هذا سيسعدك وسيجعلك سعيداً سأحضرها لك لكي تستمتع بصوتها وتفرح بجمال منظرها .

قال _ اهتمي بها عندما اموت ، فهي طيور وفية ، اوفى من البشر لقد كنت اربيها جيل بعد جيل ، كلما فقست وتوفي الاباء كنت اربي الابناء

غصت ياسمين بتلك الكلمات وشهقت بحزن

_لا تقل هذا ، انت ستشفى وستعيش وسنتزوج من جديد وانجب منك عشرات الاطفال ، سيكونون بحنوك وعطفك ، وسأخبرهم دوما انك أعظم اب لي ولهم ثم اقتربت من يديه لتتلمس اثار حروق أعقاب السجائر والتي اخبرها يوماً انها كانت بسبب اطفاءه للسجائر بيديه ليقتل غريزته الذكورية تجاهها ، تلمستها وقالت له

_ يا ليتني ادمنتكَ ... يا ليتني ادمنت روحا سكنت داخلي ، يا ليتني ادمنت قلبا ينبض قلبي به يا ليتني

أدمنت عينا أرى الكون خلالها ، يا ليتني أدمنت صدرا دافئا كدفء العالم بأسره

يا ليديكَ كم كانت تمسح دمعي كم كانت تربت كتفي

يا ليتني ادمنتك ...

يا رجلا يحتويني و يغنيني ..

يا رجلا يشعرني بأنوثتي التي افتقدها ..

ابتسم بسخرية وقال

_ هذه اليديين احرقتها بجحودك وعنادك ونكرانك للجميل ، آلمتها الالم الذي لا يقدر انسان تحمله .

ردت _ اعلم يا حبيبي أعلم ، اه لو تعلم مقدار ندمي ومقدار استعدادي ان اتحول لخادمة تحت قدميك بقية عمري ، حتى انني نسيت طفلي طوال شهور فقط لأجلس بجوارك واقول لك هذه الكلمات

عندما سمع منها كلمة طفلي رمقها بنظرة ازدراء بطرف عينه وقال

- انجبتِ ايضا ، من الجيد انك انجبت لعل ذلك هو ما جعلك تشعرين بلوعة الحب لجاهل

قال وهي لا تزال تلتمس حروق غائرة في يديه ، يا ليته كان طفلك ، يا ليتك زرعت بأحشائي نبتك الطيب ، اقسم اني كنت سأكون اسعد امرأة في هذا الكون ، لماذا كنت طيبا لهذه الدرجة السخيفة لما لم تجبرني على ان اكون زوجتك لما اطلقتني خارج البيت كالطير الذي ترك عشه ، ثم طلب اليه ان يعود له سجينا بعد ان رأى العالم .

قال لها _ عبثا تحاولين اقناعي ببراءتك ، لقد طعنتني ألاف الطعنات ، حتى لم يعد جسدي يقوى على الاحتمال ، لم اجبركِ لأنني لم ارد حب بالإكراه ولم ارد زوجة تكرهني وتدعو علي بعد

ان اموت لم ارد ان ادمر لك مستقبلك ، ظننت انني لو احسنت لك سيأتي الحب لوحدة ، وان سيعود علي خيرا كانت خالتي تقول "عندما تحسن لكلب او قط فانه يلحق بك ويحبك ويتعادك اما عندما تحسن لإنسان فانة يعضك وينكث عهدك " فعلا صدقت بكل كلمة قالتها كانت نظريتي خاطئة ما كان علي ان اكمل معك يوما واحد بعد الزواج ، لو انني وضعتك في ملجأ للأيتام والتفت لحياتي وتزوجت من تماثلني العمر لكان اجدى وانفع

نظرت لسقف الغرفة وهي تعصر عيناها وتقول

-يا ليتك فعلتها يا نوار ، قد تكون قد عشت كل تلك السنين بألم وحزن وتعاسة بسببي ولكني ألان سأعيش بقية عمري أكثر حزنا وتعاسة ان لم تسامحني

رد - لا تطلبي السماح مني ، بل اطلبيه من ربك الله فقط هو من يسامح و يغفر الذنوب ، انا لا قيمة لي ولم اعتدّ اصلا ان يكون لي قيمة لا عندكِ ولا عند غيركِ .

صرخت به

_ انا لم احبك لما انت عليه ....وانما لما انا اكون عليه عندما لا اكون معك ...

انا لم احبك فقط لما صرت اليه .ولكن لما صيرتني اليه ....

انا لم احبك بسبب هذا الذي كان في اعماقي واتيت انت واخرجته للحياة متاخرا .....هل علمت لماذا احبك يا نوار

ستبقى حلمي البعيد الذي ربما لن يتحقق ..لكنك حلمي الاجمل الذي انتظره ان يتحقق

رد

_حقدي كبير بقدر حبي السابق ولكني سأسدي لك نصيحة لما بقي من حياتك فخذيها مني وطبقيها ان استطعتِ فهي اخر نصائحي قبل الموت

تعلّمـــي العطاء حتّى في ظروفكِ الخانقة ،

تعلّمي كيف تهدين النّور لمن حولك

وإن كانت خفاياكِ حالكة. .

تعلّمي أن تُهدي لأحبابك ابتسامة . .،،

وإن كنتِ تبكين !

ابذلي فثواب العطاء سيمسح متاعبك

ويخبئ لك فرجا من حيث لا تحتسبين.

قالت - ان كلامتك كالسكاكين التي تقطع شراييني ، فلما هذا التلذذ بالانتقام ، اوجعت قلبك بجحودي ولكني كنت طفلتك المدللة انت صنعتني وخلقت مني دمية تافه لا قيمة لها جعلت مني وردة جميلة لكن دون رائحة ، ويحك يا نوار الا تشبع الانتقام حتى بضعفك اراك جبارا طوداً مهيباً وانا الضعيفة امامك ارجوك امنحني تلك الكلمة حتى اعود لإنسانيتي

رد _ وما نفعها آلان ماذا ستزيد او تنقص هي كلمة في قاموس مليء بمئات الاف الكلمات الاخرى

قالت - وماذا يهمني من اللغة ، انسى كل الكلمات وامنحني اياها فقط ، هي ما اريد كلمة السماح فقط ارجوك يا نوار اغفر لي وسامحني ولا تزيد من المي ومعاناتي ، انظر إلي كيف تحولت لشبه انسانة ارأف بحالي....

فوزية والزهايمر ...

تابع نوار حديثه المتشنج مع ياسمين

_ اتركيني اموت بصمت ارجوكِ ، لم يعد لدي قدرة على الجدال

ياسمين _ هل تذكر تلك الفتاة التي تسببت بطردي من المدرسة ، عندما كنت طفلة ، الشقراء ذات العيون الملونة

نوار _ ما بها ؟

ياسمين_ هي من تسببت بطلاقي ، لقد احبت زوجي الثاني وخطفته مني ، تستطيع ان تشمت آلان بي كما تشاء

قال _ تستحقين ذلك ، هي ارادة الله ، ابت إلا ان تذلك من ذات الفتاة لكي تحسي ببعض ما احسست طوال سنين .

هي _ أجل احسست بكل مرارة الكون ،وندمت وانت لا تريد الصفح عني

قال لها _ قلبي لا يسمح لي ان اغفر لك ، لقد تجرعت كل سموم الحزن بسببك وابتلعت آلامي لوحدي ، ايام وليالٍ طويلة قضيتها نادبا باكيا بصمت ، وانتي تنعمين بالفرح والدلال في أحضان ازواجكِ ، ارجوكِ يا ياسمين ابتعدي عني ، وحاولي ان تنسيني

ياسمين _ لكن اذا احضرت لك طيورك الجميلة ، هل ستسامحني !!!

نوار يبتسم بصعوبة _هل تظنين انني طفل وتريد الضحك على عقلي ، اعتقد انني احب تلك الطيور اكثر منك الان وفي هذه اللحظة ، اشتاق لها أكثر من أي شي أخر فهي الخل الوفي ، والصديق الصدوق الذي لم يغدر بس يوما ، وقد تكون الصديق الوحيد .

قالت له _ امممم ولكن ماذا عن صديقك رضوان آلا يعلم بوجودك هنا ، لقد مكثت في هذا المشفى شهور ولم اره ، ترى هل هو بخير

قال نوار _ لا ادري ، في ايامي الاولى هنا كان معي ليلا نهار ولم يتركني ، لكن عندما اخذ المرض يشتد وبدأت افقد الوعي كثيرا ، لم أعد اراه ، اذهبي واطمئني على صحته واحضري لي طيوري ....

هزت رأسها وقالت _ حسناً يا ضي عيني ، سوف اذهب اليه آلان وأطمئن عليه واحضر لك الطيور والاقفاص ....

ثم وقفت ياسمين ، وقبلت جبهة نوار وغادرت ، لم تكن كتلك القبلة الاولى ولم تكن بتلك الحرارة ، ربما كل شي يفقد بريقة بعد تكراره ولا شيء يماثل حلاوة المرة الاولى .

ذهبت ياسمين الى تلك الحارة المدفونة في قلب المدينة ، الحارة الشعبية التي يسكنها رضوان ، صديق نوار لتبحث عنه ، كانت حارة منسية ككل حارات اوطاننا الشوارع الضيقة والبنايات التي تركب بعضها البعض في مشهد سريالي يوحي لك بالفقر والضياع ، وجدت ياسمين صعوبة بالتنقل في تلك الازقة وخصوصا ان اطفال تلك الاحياء يستهجنون اي شيء جديد على حارتهم سيارة او انسان غريب فكيف ان كانت امرأة ، وذات جمال ايضا ، كانت اصوات الدجاج والديوك تنبعث من اسطح تلك الابنية وكانت اسراب الحمام تلاعب زرقة السماء ، الحي الذي كانت تقطنه مع نوار كان بحي متوسط الرقي الى حد ما ولولا ان ورثه نوار عن اهله لربما ما كان ليحلم بالسكن فيه ،عكس صديقه رضوان الذي لم تستطع سنوات عمله العشرين كموظف ان تشتري له ربع بيت في ذلك الحي المتواضع ، هو كان مستأجر في طابق ثالث من بناء احمر قرميدي متداع ، عندما سألت الجيران عنه هب الاطفال كمتطوعين بالمجان لإيصالها لبيت رضوان.

لكن المفاجئة انها علمت ان رضوان قد توفي بسكته قلبية قبل أشهر ، وهنا توضحت لياسمين الصورة ، لأنها لم تشاهد رضوان طوال فترة مكوثها في المشفى ، وهو الصديق والزميل الوحيد لنوار ، يبدو ان القدر قد اختار له نهاية سريعة ، كان رضوان ذو شخصية شبيه بشخصية نوار ، البساطة والطيبة والحياة الروتينية الخالية من الطموحات الكبرى ، جل ما كان يريده هو سقف وحيطان لبيت الزوجية ليعيش به بأمان مع زوجته وولديه .

طرقت ياسمين باب الشقة ، ففتحت لها فوزية وهي زوجة رضوان ، نظرت لها فوزية بتعجب وهي المرأة ذات النظارات السميكة والعيون الضعيفة ، والشعر الخفيف الابيض سرعان ما بادرتها ياسمين ، انا من طرف نوار صديق زوجك رحمة الله هو لديه امانه ويريدها

فتحت فوزية فمها بكل سذاجة وكأنها تذكرت شيء نسيته منذ زمن ، وقالت

-أاااااه

_تذكرت تقصدين العصافير الجميلة في الاقفاص ، لقد كان رضوان يطعمها كل يوم رغم ان مصروف طعامها كان يؤخذ من مصروف طعامنا ، تفضلي يا ابنتي تفضلي ، ما هي اخبار نوار من تكونين ، هل انتي ابنته هل شفي من مرضه

دخلت ياسمين الصالة الصغيرة التي يتوسطا ، مقعدان وكنبه يبدو عليها علائم الاهتراء ، اجلستها العجوز وذهبت لصنع الشاي حتى قبل ان تستطيع ياسمين إجابتها على نصف اسئلتها ، ربما تعاني من نوع من الزهايمر فهي تنسى وتتذكر بسرعات قياسية .

عادت فوزية وبيدها فنجان شاي كبير بأُذن مكسورة ، قدمته لياسمين وبدأت تتكلم ككل العجائز

_ لقد توفي زوجي رضوان وكان يريد زيارة نوار ، وقبل ان يموت اوصاني بهذه العصافير ، وانا انفق عليها كثيرا با ابنتي وليس لدي سوى راتب زوجي التقاعدي الذي لا يسد الرمق

قالت لها ياسمين _ لا عليك يا خالتي ، سوف أعطيكِ كل المال الذي تكلفته على هذه العصافير ، هل يمكن ان تحضريها الي ...

فرحت فوزية وارتسم السرور على وجهها وقالت

_ بارك الله بك يا ابنتي الغالية، انهن على الشرفة اضعهم كل يوم صباحا حتى يتشمسن ثلاث اقفاص وفي كل قفص عصفور وعصفورة احدها عصفوران اصفران ربما كنار والثاني لونهما برتقالي لامع ربما بلابل والثالث لونهما اسود وابيض ربما دوري او حسون ، قالت العجوز تلك الكلمات الواصفة للأقفاص وهي لا تعلم ما تعني ولربما لا تستطيع التفريق بين تلك الانواع من العصافير .

دست ياسمين يعض المال في جيب العجوز فوزية ، التي اغتبطت وعرضت على يا سمين كاس شاي أخر تعبيرا عن فرحها ، وبسرعة احضرت الاقفاص الثلاثة التي بدا عليها الاهمال وقلة الاهتمام من خلا ل عدم تنظيفها وكمية الغبار عليها ، حتى العصافير التي كانت جميعها بلون ذهبي يميل للإحمرار عكس ما وصفت فوزية التي يبدو انها تعاني من مرض أخر غير الزهايمر وهو عمى الألوان .

شكرت ياسمين فوزية وحملت الاقفاص واتجهت الى الباب وقبل ان تغادر بادرتها فوزية بهذه الكلمات

_ يا ابنتي لقد كلفتني العناية بهذه العصافير الكثير وانتي لم تعطيني المال الذي وعدتني به عندما شربتي الشاي قبل قليل ، ابتسمت ياسمين ابتسامة بسيطة وقد ادركت ان المرض والعمر والوحدة والبخل قد أخذت مأخذها من هذه العجوز فقال

_ صحيح . انا أسفة يا خالة لقد نسيت .

فأخرجت نقود من جديد واعطتها لفوزية وغادرت بسرعة قبل ان تنسى من جديد وتطلب المزيد من المال .....

وداعاً نوار...

استقلت ياسمين سيارة تكسي مباشرتا بعد مغادرتها الحي الذي تلبث به فوزية ، ومعها الطيور التي اشتاق لها نوار والتي مثلت له الصداقة والتسلية والاستئناس ، كانت تمني النفس بمسامحة نوار لها ، وخصوصا أنها تكلمت معه كثيرا بعد أن استفاق واوصلت له رسالتها وندمها على كل ما فات بينهما ، كانت تبتسم وهي تنظر من نافذة سيارة الاجرة المفتوحة نصف فتحة ، وهي تراقب شوارع واسواق المدينة لكن شرودها لم يكن لتلك المناظر بل كان تفكيرا بلحظة لقاء نوار بعد قليل، كانت تفكر بأن تحضر له لباس جديد كهدية أو أن تحضر له طعامه المفضل ، ولكن سرعان ما تنهي تلك الافكار بابتسامة بسيطة وهزة رأس تعني ان كل هذا لا ينفع من مريض سرطان يحتضر واستفاق من غيبوبته للتو . وقبل ان تصل ياسمين للمشفى ولأنهم لم يسمحوا لها بإدخال الطيور بتلك الاقفاص الكبيرة ، اوقفت سيارة الاجرة أمام احد المحال وابتاعت قفص صغيرة بحجم حقيبة صغيرة وضعت بداخلة كل طيور نوار وتخلت عن تلك الاقفاص الكبيرة والبالية ، وتوجهت الى المشفى الذي بات قريباً .

بعد أن وصلت ياسمين للمشفى خبأت القفص الصغير بقطعة قماش كي لا ينتبه له أحد ، ودخلت الى المشفى وامتطت المصعد الكهربائي للوصول الى الطابق الذي يرقد به نوار ، واقتربت من غرفته ، نضرت من نافذة العناية قبل ان تدلف داخلها لكنها لم تجد نوار ، ثم اسرعت داخلها ، تنضر يمينا ويسارا ولكنها لم تجده ، بدأ قلبها يخفق بعنف وشعور مخيف ينساب اليها مصحوب بقشعريرة تهز الجسد وكأنها لفحة برد ، خرجت للبحث عن الممرضة المسؤولة عن غرفة العناية ، وجدت تلك الممرضة السمينة واسرعت إليها سألتها وهي تبتلع ريقها

_ أين نوار !!!

اطرقت الممرضة ، راسها وهي تعلم مدى وقع الخبر الذي ستنقله لها وقالت

_ المريض الذي تبحثين عنه ، قد توفي قبل ساعة ، اصيب بنوبة شديدة واختلاج انتهى بتوقف قلبه عن الخفقان ، فليكن الله معك ايتها الطبيبة .

تسمرت عيون ياسمين وهي تنظر للمرضة ، وقع منها ذلك القفص الصغير ، ثم صرخت بكل قوة صرخة مدوية ملئت ارجاء المشفى واغمي عليها

اسرعت الممرضة بنجدتها ووضعها على سرير ، واحضرت الطبيب الذي اعطاها ابرة مهدئا لتنام قليلا .

بعد عدة ساعات استفاقت ، ياسمين وهي تتمنى ان يكون ما حصل حلم ، تلفتت فوجدت نفسها على سرير في ذات المشفى اللعين لتتأكد ان كل شيء انتهى وأن نوار قد مات ، وبات من الماضي ، قد فارق الحياة دون أن يقول لها انه سامحها .

استجمعت بعض شتاتها واتكئت على يديها ووقفت سالت الممرضة التي حاولت اقناعها بالعودة .

_ أين هو !!!

ردت _ هو في ثلاجة المشفى

قالت لها _ خديني إليها

اومئت بالموافقة واخذتها الى نوار لتلقي عليه نظرة الوداع

وصلت ياسمين للثلاجة واخرج لها الموظفين هناك بعض من جسد نوار ، انهمرت دموعها وهي تبتلع ريقها بحزن ، لمست وجه نوار كان شديد البرودة ، ضمته بحرقة وآلم وصرخت

_ اااااااااه يا وجعي

يا اجمل حروف نثري ، واعذب الحان شعري ،يا اروع اقداري ..سأشتاقك وسأحن اليك اينما كنت ، فانت الاول والاخر واجمل اختياراتي ،واقسى تعاساتي واخر إخفاقاتي ، ستبقى تسري في شراييني مع دمي و ستبقى تتدفق الى قلبي مع شهيقي ، لن أنساك يا نوار انت ابي واخي وحبيبي وزوجي .

انا أعلم انك سامحتني لأنك لا يمكن ان تحزن طفلتك المدللة ياسمين ، أعلم انك تغفر لي يا حبيبي وأعلم اننا سنلتقى في الجنة ، وسنحقق ما لم نحققه في الحياة ، لا ادري كيف هي قصتنا يا حبيبي ، لم أختر قدري ..

ولم أرسم طريقاً لي

فكنت أنت قـدري ملكتني كلي ولم تملكني بذات الوقت

أحببت جنوني .. مشاعري .. غموضي .. حنانك

يشـاركني في كُل لحظـة فرح تحتـويـنـي

كنت أراك بإشراقة كل شمس .. بضـوء كل قمـر

بكل قطـرة مطـر .. بلـون كل زهـرة

بنغمـة كل وتـر .. بقصيـدة كل شاعـر

صدفه جمعنا القدر وصدفة فرقنا يا أعذب قدر.

كيف بدأت تلك العلاقة وكيف انتهت ، يحترق قلبي يا نوار وانا امسك وجهك البارد ، وكأن برود وجهك شمس تحرق كل شيء امامها ، اعدك يا حبيبي انك ستبقى تشاطرني يومي وتفكيري ....

أعدك أن تبقى تشاطرني نومي واحلامي ...حتى انك ستشاطرني نبض قلبي وانفاسي وستأتي كل صباح لتشاطرني قهوتي ايضا ....ايكفي ام لا .....؟

هيا يا نوار اجبني هل يكفي هذا لتسامحني ، لقد احضرت لك طيورك الجميلة ألا تريد ان تراها ارجوك قم وشاهدها لن تموت وتبقى غصتها في قلبك ، هيا يا نوار ارجوك قم افتح عينييك هيا.

وانكبت تبكي بحرقة فوق الجثة ، الى أن سحبتها تلك الممرضة الممتلئة وهي تضمها وتمسح شعرها ، وتقول

_ هيا يا ابنتي لله ما اعطى ولله ما أخذ ، اقسم اني لم اتأثر يوما بقصة كما تأثرت بقصتكما ، كل يوم يموت شخص او اثنين في هذا

المشفى ، ولكني لا أتأثر ولكن قلبي احترق حزنا عليكما، انت وزوجك هدئي من روعك فأنتِ طبيبة ، لا ادري على ماذا تطلبين منه السماح ولكن مادام يحبك فهو قد سامحك بكل تأكيد
فالمحبين لا يمكن ان يكونوا قساة على من يحبون ، هيا يا ابنتي استخرجي اوراق الإخراج وسارعي بدفن ميتك فإكرام الميت دفنه .

اكملت ياسمين إجراءات خروج جثمان نوار من المشفى ، ودفنته في اليوم التالي ، لم تكن تعرف احد دفنته مع شيخ وعدة رجال كانوا يصلون في المسجد الذي صلي على جثمانه به ، مات غريبا دون ولد او اخ او زوجة ، بضعة رجال فقط قاموا بحضور جنازة رجل عظيم ك نوار فقط بدافع الواجب دون أن يعرفوا عنه شيء ، وهذا ما حز في قلب ياسمين التي حرمته الاسرى و الأطفال والكينونة التي لطالما تمناها ، بكت وبكت وبكت كثيرا حتى جف دمعها بقيت لأيام فوق القبر تقرأ القران على روح نوار وتبكي وتطلب السماح وليس من مجيب .....

تابعوا الجزء الاخير من هذه الملحمة الرومنسية

ترى كيف سيكون حال ياسمين بعد نوار

اين ستذهب وكيف ستعيش.....

القرار الأخير ....

بعد دفن نوار عادت ياسمين الى منزلها الاول الذي ترعرعت به ، واصطحبت ولدها الصغير عزام ، وطيور نوار الصغيرة ، دخلت فترة اكتئاب رهيبة عانت منها ويلات الندم والشوق ، بات كل شيء في ذلك المنزل يذكرها بنوار الغرف والشرفة ، طاولة الطعام والصالة وتلك الرفوف التي صنعها نوار لطيوره.

كل شيء يحفر في ذاكرتها الأحزان ويزيد من كآبتها فكرت بالانتحار عدة مرات ولكن وجود عزام طفلها الصغير منعها من ذلك لمن ستتركه ووالده لا يهمه امره ولا يسأل عن حالة ، لم ترد ان يتربى يتيما كوالدته ، كانت تعاستها تزداد في ذلك البيت كل صباح وكل مساء لا تغفل شيء الا استجماع الذكريات ، حتى اطباق الطعام باتت تذكرها ب نوار تلك الاطباق التي كان يضع عليها نوار آلذ الاطباق التي كان يعدها لياسمين على مدى سنين طويلة ، تذكرت حوار حصل بينها وبين نوار ذات مرة ، عندما كان يشرح لها عن مزايا طيوره وهي لا تلقي له بال في ذلك الحوار حين كان يضع الماء لطيور الكنار الصفراء وهو يشير بإصبعه و يقول

_ اسمعي يا ياسمين ، هذا يدعى الكناري إن الكناري هو طائر جميل وأنيق ، حسن الصوت ، يحب الصحبة ويكره أن يكون وحيداً ، ويتكاثر في الأقفاص ، أما عن موطنه الأصلي هو جزر الكناري ويمكن أن يكون هو هذا سبب تسميته بالكناري ، أحبّه البحارة قديماً فعملوا على نقله معهم إلى مواطنهم ، وبعد هذا انتشر إلى جميع أرجاء العالم ، وقام الهواة بالعناية به وتهجينه لحصر الصفات الوراثيّة ذات الأفضلية فيه من حيث شكله ولونه وصوته ، فحصلوا على العديد من الطيور المغرّدة والجميلة والجذّابة ، ويعيش الكناري مدة تتراوح من 5- 6 سنوات .

وقتها ضحكت ياسمين وقالت له

_ كان يجب ان يعينوك سفير لتلك الطيور ، انك تعرف عنها كل شي اكثر مما تعرف عن نفسك

ثم امتص سخريتها واشار بإصبعه لقفص أخر وقال

_ وهذا يدعى الحسون ، طائر رائع ومميز يعتبر من أكثر الطيور المميزة واقرب طيوري الى قلبي ، حيث أنه يتمتع بحجم صغير وريشه متعددة الألوان، وينتمي طائر الحسون إلى الشر شوريات، وهذا الطائر يعيش في جميع الدول والقارات باستثناء القارة القطبية، ويعيش هذا الطائر في الحدائق والأراضي أكثر من غيرها من التضاريس، حيث أن هذا الطائر يغرد بشكل مستمر فيما يمكن ملاحظة بأن صوته من الأصوات العذبة، ويوجد العديد من الاختلافات بين ذكر وأنثى طائر الحسون.

قالت له _ وما الفرق بين الذكر والانثى

ضحك وقال وهو يشير لراسه الفرق بينهما الراس فقط الرأس ، تمام مثل البشر لا يفترقون ولا يجتمعون إلا بالراس

قالت له - كيف !!!

قال _ الذكر لون راسة اسود اما الانثى رمادي وكذلك فشكل راس الانثى مدبب صغير اما الذكر فممشوق واكبر

همهمت وكأن تفسيره لم يعجبها ثم ، قالت له

_ وهذا الطائر الذي له عرف مثل الديك ما هو ؟

قال _ انه الهدهد الم تسمعي به من قبل ، طائر الهدهد الذي تم ذكره في القرآن الكريم هو أحد الطيور المتميزة، حيث أنه يتميز بعرفه البني الفاتح الشبيه بالتاج، ويحب العيش في الأشجار المرتفعة والمروج وكروم العنب وهو دائم التنقل من مكان لآخر بحثاً عن الطعام، ويتواجد بكثرة في المناطق الزراعية ويتغذى على كل من اليرقات والديدان، حيث أنه يعيش في آسيا وأوروبا في مناطقها الوسطى والجنوبية ويتواجد بشكل كبير في أفريقيا، كما أن له طريقته في الطيران متميزة، ويُمنع منعاً باتاً صيد هذا الطائر، ويُعد وجود هذا الطائر في مكان ما دليل على نقاء المكان من المبيدات الحشرية، لقد دفعت الكثير من المال للحصول عليه

انبثقت دموعها وهي تستذكر ذلك الحوار الذي دار بينها وبين نوار ذلك المساء ، وهي تتلمس الاقفاص وتتذكر ان اخر امنياته كانت رؤية طيوره وتوديعها .

تركت عملها وبقيت لشهور في البيت تتذكر وتتذكر وتحترق بحزنها كل يوم اكثر من الذي قبله ، الى أن قررت ان تضع حد لكل ذلك ، فما كان منها الا ان اتجهت الى منزل الحاجة فوزية زوجة رضوان صديق نوار المصابة بالزهايمر ، فقد قررت ياسمين ان تعيش معها فب تلك الحارة المنسية والمهملة ، وخصوصا ان فوزية تعيش لوحدها بعد سفر ولديها ونسيانهم لها ، ربما وجدت في امرأة دائمة النسيان شيء قد يخفف مصابها ولربما احست ان فوزية قد تكون ام جديدة لها فهي لا تستطيع ان تعيش دون شخص طيب القلب بجوارها ، ولربما ضنت ان فوزية زوجة رضوان شيء وحيد واخير قريب من نوار او يمت له بصله .

طرقت الباب ففتحت لها فوزية ، نضرت بصعوبة وقال

_ من انتِ!

ردت ياسمين التي كانت تحمل طفلها بيد وطيور نوار التي جمعتها بقفص واحد باليد الاخرى

_ انا ياسمين ، لقد اتيت اليك قبل فترة وأخذت العصافير منك .

هزت فوزية رأسها وقال

_ تذكرت ولكن لماذا تعيدينها ، لقد ظننت انكِ ستأخذيها للابد ولن تعيديها إن العناية بها مكلفة ومتعبة

قالت لها ياسمين

- هل سأبقى على الباب يا خالتي ، الن تدخليني !

قالت فوزية

_ بلى بلى ادخلي يا ابنتي ، كيف حال نوار ، هل اصبح افضل

دخلت ياسمين ووضعت القفص ارضا وطفلها لا زال يغفو على يدها وقالت

- نوار توفاه الله

فتحت فوزية فمها وازالت نظارتها متعجبة وقال

_ لا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد لحق رضوان زوجي ، هما صديقان حتى بالأخرى ، عاشا معن وتوفيا معن ، رحمك الله يا نوار

ثم ضمت ياسمين بكلتا يديها، وقالت لها

_ لا بأس يا ابنتي هذه حال الدنيا ، الموت علينا حق مكتوب .

قالت لها ياسمين

_ يا خالتي اريد ان اعيش معك هنا ، مع طفلي ، هل تقبلين بي سوف اهتم بك ، كما ستهتمين بي ، وسوف أعطيكِ كل المال الذي سأحصل عليه من عملي ، قد افتح عيادة عندكم في الحارة ، ارجوكِ اقبلي بي

بكت فوزية بحرقة وقال بعد ان كفكفت دموعها على الرحب والسعي يا ابنتي ، انا امرأة وحيدة واعيش بمفردي والوحدة قتلتني ، سأكون سعيدة بكي ، ان الله استجاب لدعائي.

كل يوم في صلاة الفجر ، كنت ادعوه ان يكسر وحدتي ويملئ ما بقي لي من ايام بمؤنس او خليل .

وهكذا يا قرائي الاكارم ، أسدل الستار عن قصة ياسمين ونوار ، ملحمة الحب والخيانة والضياع ، ملحمة الرومنسية
والفقدان ملحمة عذاب القدر لكل مختال لعوب ، القصة التي انتهت بياسمين ارملة لبقية عمرها بجانب العجوز فوزية ، مع طفلها عزام الذي بدلته فيما بعد ياسمين الى نوار ، القصة التي بدأت وانتهت بفاجعة بدأت بفاجعة زواج القاصر والطفلة وانتهت بفاجعة وفاة الاب الزوج الطيب ، نوار لم يحصل طوال سنوات عشقه لياسمين الا على قبلة واحدة كانت تمثل له كل شيء ، لم يسلم الروح الا بعد ان حصل عليها ، قبله عشق وليست قبلة ابوة واحترام ، قبلة مثلت له اجرة الذي لم ينتظره او يطلبه ، رحل نوار وأخذ معه

روح ياسمين ، التي نسيت انوثتها الى ان توفيت ، ونذرت حياتها لطفلها الصغير نوار ....

تمت بحمد الله.